

روايات عبير

مارغريت واي

لعبة بين يديه

١٢٧

روايات عبير

HARLEQUIN – "ABIR" – No. 137

لعبة بين يدي[illegible]

جميلة إلى حد [illegible] لا تعرف من تختار. والجميع يتهافت [illegible] عليها لأنها أمنية [illegible] في هذه المنطقة الصحراوية الشا[illegible] من براري استراليا [illegible] القيظ حقيقة يومية والسرا[illegible] العصور. [illegible] ذات الجاذبية الساحرة [illegible] الأحمر وعينيها الو[illegible] كالسراب وتختفي.

ولكنها صعبة [illegible] على بليك، ملك [illegible] الذي لا يعرف معنى لكلمة لا [illegible] مليئة بالأخطار

وهل هناك لعبة أخطر [illegible]؟

العنوان الاصلي لهذه الرواية بالانكليزية
RED CLIFFS OF MALPARA

المراسلات
Harlequin (Cyprus) Ltd.
29 Michalakopoulou St.
Athens T.T. 612, Greece

Printed in Great Britain by
Richard Clay (The Chaucer Press) Ltd, Bungay, Suffolk

١ - كنوز في البراري

وصل الى حافة الصحراء وأخذ يتأمل مساحاتها القاحلة. كانت رياحها الدوارة قد أعادت تشكيل التلال الرملية فظهرت كأعمدة مرتفعة لمعابد تاريخية. وسارت امواجها بشكل متواز الى ما بعد حدود بصره.

كانت الصحراء بلا نهاية... ستة وخمسون الف ميلا مربعا من الرمال الحمراء، الداكنة، المحرقة. كان يعرف هذه الصحراء جيدا... يعرفها ويحترمها بقلبه وعقله. هنا، بين كثبانها لم يكن شبح الموت يطارده، لأن الصحراء جزء من حياته ومن وطنه.

كانت الحرارة شديدة. وبعد يوم شاق شعر بأنه حل وشك الانهيار. لكن الصحراء برمالها الملتهبة بحيث تشده اليها بشكل

مغناطيسي. لقد سافر في انحاء العالم سائحاً لكن لم يجذبه مكان مثل مالبارا، أرضه التي ملأته مع كل أفراد عائلة ميريديث بالكبرياء وحب التملك.

كان أجداده قد أتوا من كوخ بعيد في البراري، حيث الوحدة مأساة والمرض أنياب تفتك بالحيوان والانسان. وحين استقروا في مالبارا وجلوا بانتظارهم سنوات طويلة من القحط وسماء حمراء الغبار، لكنهم عملوا بجد حتى تغلبوا على العوامل الطبيعية وحصدوا في النهاية ما زرعته أيديهم.

كانت مالبارا أسطورة خارقة القوة. وعندما تكلمه بلغتها، لغة الأرض، لم يكن يظهر على وجهه الداكن أي أثر للعواطف. لكنها بقيت في مخيلته بعيدة المنال جليلة.

على مقربة منه امتطت فتاة حصانها، وكان الحصان وراكبته متطابقين: ألوان زاهية، دم اصيل، وحساسية مفرطة. كانت ساري فتاة تشتعل بروح العداء والتنافر وكانت تحاول جاهدة السيطرة على هذه الروح، لكن عجرفة بليك هي التي جعلتها فريسة لهذه الحمى التي لا يمكن ان تخمد.

أشرف بليك على مسيرة حياتها منذ كانت في الثانية عشرة من عمرها، بعد ان هربت امها تاركة إياها وحيدة. اما والدها والوحيد الذي كان قريباً لبليك بالنسب فقد قتل منذ سنوات قليلة. كان أحد افراد عائلة ميريديث، ولكن أبعد قليلاً عن جذورها القوية الأصيلة.

كان بليك دقيقاً ذا تأثير بعيد المدى، تبنى ساري بقوة القانون رغم معارضتها المريرة لذلك منذ اليوم الأول الذي طرح فيه ألف ميل للمطالبة بها. استطاع بليك بعد ذلك كسب ولائها بشكل محدود،

رغم كونه ملكاً من ملوك دنيا الماشية. اما مالبارا، أرض بليك، فقد أحبتها لانها تأجج بالسحر والحياة، لكنها فضلت إخفاء حبها هذا عن بليك ثانية ان وجهها ما هو الا مرآة تعكس مشاعرها.

على كل حال كان بليك قد نسي ساري تماماً وجعل يتأمل الصحراء المحيطة به. كان مظهره ينم عما هو عليه في الحقيقة: الرجل الذي لا يقهر، رمز البطولة في تلك المساحات الشاسعة القاسية. ولكن ذلك يتناسب مع وسامته ورجولته التي لا تقبل الجدل. كان صبوراً رغم ان مظهره لا يوحي بذلك، كما انه ذو طبيعة قيادية جعلت الف الناس يمتثلون لأوامره، إلا ساري التي قاومت سلطته بضراوة رغم انه كان يحاول جاهداً اسرها في دنيا من الانضباط والنظام. كل هذا اشعل بينهما حرباً لا هوادة فيها. اما اليوم فقد كانت ساري تحاول التعاون معه واظهار جانب اللباقة فيها، لانها كانت تتوق الى رحلة أديلد لما فيها من متعة وخبرة. وبقي تأثير بليك قوياً على ساري حتى عندما كان متشبثاً برأسه عنها بشكل جعلها تتساءل:

ما الخطأ في تمضية اسبوع مع عائلة شلتون؟ إنها عائلة معروفة اجتماعياً. ليا أعز صديقاتها وشقيقها بيتر شخصية لامعة. أثيرت المشكلة عندما علم بليك من مجهول ان بيتر مغرم بها. وهذا طبعاً غير صحيح، لكن مهما كانت الحقيقة فانها شخصياً مفتونة ببيتر، ولن تدع بليك يودي أول علاقة عاطفية لها الى مهاوي الفشل.

اثارت هذه الأفكار اضطراب ساري وتطلعت نحو بليك بنظرة ملؤها الغضب. لم يبد على بليك أي اهتمام فزاد امتعاضها. (إنه يستحق ان اهرب مع بيتر وتزوج). لكن فكرة الزواج بحد ذاتها اخافتها واعادت ذكرى الخلافات الحادة بين أمها وابيها حية تملأ

عينيها إذا كان هذا هو الزواج فهي ستصرف النظر عن الفكرة نهائياً. لكن الحب يختلف حتماً. إن للحب قوة تفتح كل ابواب الحياة المغلقة على مصراعيها. لكن لماذا لا تكون جستين شقيقة بليك الكبرى هي التي كلمته؟ كانت جستين تعيش في لندن وهي متزوجة من رجل أعمال مشهور تحول مع مرور الزمن إلى سياسي كبير. كانت شقيقته هذه تراقبها بدقة في عطلة نهاية الأسبوع، حين كانت تترك للمدرسة الداخلية التي اختارها لها بليك، وخلال الاجازات الطويلة التي كانت تقضيها في ماليزيا.

أحست ساري انها ستنفجر كبركان غاضب في وجه بليك بكل عجرفته وتسلطه لأنها تشعر معه بكونها غبية ومزعجة.

- حسناً.

قالها وهو يدير رأسه باتجاهها بكل ثقة. لم يكبها ذلك. لمعت عيناه فأضاءتا وجها تركت أشعة الشمس آثارها واضحة عليه. بدا رائعاً، فتنها بحق. لكنها كانت مصممة على الاستمرار في لعبتها حتى النهاية.

- بليك أرجوك، ألا يمكنني؟

وذابت زرقة عينيها في لون شعرها الأرجواني حتى خيل لبليك انه امام زهرة نادرة. لكنه اجاب بسرعة ودون ان يتأثر بجمالها وتضرعها:

- كلا...

تخلت عن لباقتها واندفعت تسأله:

- قل لي لماذا؟

التقت نظراتهما قبل ان يجيب:

- إني لم ابعث بدعوة مفتوحة الى السيد شلتون هذا. اما إذا كان

يعتقد انه سيتزوج من عائلة ميريديث فهو مخطئ. وعليه ان يحذر الغد الآتي.

- اجل... آل ميريديث! القبيلة المتكاملة!

- انت جزء منها!

- ماذا؟ نعم انا القريبة الفقيرة!

- لكنك لا تتصرفين كواحدة!

واضاء عينيه نور غريب قبل ان يقول:

- هيا يا ساري هيا، افعلي ما تشائين. انا اعرف انك تكرهين السلطة، والتمرد من طباعك منذ كنت في الثانية عشرة من عمرك. انا لا زلت اذكر كيف اخرجتك من منزل تلك المرأة... ماذا كان اسمها؟

- إنك تدعي عدم المعرفة! وانا متأكدة من كونك تعرف كل شيء! انها الخالة راي.

- نعم... الخالة راي، يا إلهي.

- لا تتكلم عنها بهذا الشكل.

قالت ساري محذرة:

- الخالة راي كانت صديقة مخلصة من صديقات مارا.

- تعنين والدتك!

صحح بليك:

- بل مارا!

أجابت ساري بعناد. يمكنني مناداتها بإسمها لأني لن اراها بعد اليوم.

- لا تستطيع الجزم بذلك أبداً.

قال بليك بجدية:

- انا لن اكون مثلها أبداً!

قالت ساري دون ان تلاحظ علائم الجدية الظاهرة على بليك:

- فلماذا لا تدعني اذهب؟

- قلت لا.

سرت رعشة مفاجئة في جسم ساري وعلت ضربات قلبها: (لا فائدة من التقرب من بليك عندما يكون عصبي المزاج، ومع ذلك يستمر في مراقبتي باهتمام)

- أعتقد اني معك لا أستطيع الوصول الى اي شيء: لا بالتضرع ولا بالاسترضاء ولا حتى بالتملق.

قالت ساري بصوت خافت حزين.

- وهل تعتقدين ان ذلك سيء؟

قال بليك بقسوة:

- تأكدي يا ساري انه لا يمكنك الوصول دائماً الى ما تريدين وبالطريقة التي تريدينها. خاصة وانك متقلبة، منحرفة ويائسة.

حاولت ان تكبح جماح دموعها قبل ان تقول:

- أنت كريه!

- احتفظي برأيك لنفسك.

قالت بعصبية:

- كم أتوق الى ضربك بالسوط.

- قد تفعلين، لكني سأجد طريقة لرد إهانتك!

في تلك اللحظة أدخل الهواء خصلة شعر حريري احمر في عينيها، فأزالتها بقسوة قبل ان تقول:

- انا في التاسعة عشرة من عمري يا بليك.

- ليس هناك ضرورة لتذكيري لأني اعد الايام التي ستصبحين

بعدها في سن الرشد ومالكة لزمام امرك.

آلمها كلامه وامتعضت للفكرة قبل ان تقول بمرارة:

- إذهب الى الجحيم...

- لم يحن الوقت بعد. يجب علي تمرينك أولا على اشياء كثيرة قبل ان تسيري على درب الزواج، علماً بأن زوج المستقبل سيكون محظوظاً لأنك جميلة، إذا صرفنا النظر عن الأشياء الأخرى.

- شكراً لك.

وفجأة أحست بنفسها طفلة تفصلها عنه فجوة سببها قلة خبرتها. كان بليك الأعلم دائماً في كافة المجالات، هذا إذا استثنينا تيار القوة الذي يحيط به.

وعندما غمرت اشعة الشمس وجهه ذا الملامح الواضحة الموحية بالصلابة، اصبح النظر إليه كافياً لأن يسعدها ويدخل البهجة الى قلبها. لكن ساري كثيراً ما اعتبرت مظهره هذا تحدياً سافراً لها. كانت، والحق يقال، تخافه رغم انها ترفض الاعتراف بذلك. لكن غيابه عن حياتها سيتركها حتماً للوحدة، تلك الثمرة المريرة لعلاقتها غير المستقرة هذه. إن بليك لا يمكن ان يتغير وهي ستبقى اسيرة سلطته دون شك لأنه رجل بمعنى الكلمة، وتنفيذ رغباتها معه هو بحكم المستحيل، خاصة وانه على معرفة بأعمق مشاعرها، وأدق احاسيسها، وحتى نقاط الضعف فيها.

كانت ساري تشعر ان معارضتها لبليك ـ حتى عندما يكون في أسوأ حالاته ـ فيها خبرة كافية لها. أسعدها ذلك فظهرت معالم الفرح على وجهها الذي ليس إلا مرآة تعكس مشاعرها المتضاربة بصدق.

كانت تحس وهي معه انها دمية لأنه الوحيد الذي يعرف كل خطوة يمكن ان تقوم بها، مما يضعفها امامه. إلا أنها كانت تتمتع احيانا

بأفكاره تمام الاقتناع. واحياناً اخرى تحاول تبرير تصرفاته وجبروته بعد ان تتأكد من عدم جدوى رفضها لهذه التصرفات.

- لنذهب الى البيت.

قال بصبر نافد:

- وجودي مع تلميذات المدارس الصغيرات يسليني حيناً لكن يتركني للملل احياناً.

تحدته:

- لكنك وجدتها جذابة!

أجابها ساخراً:

- ما أغباك... لقد استطعت ابعاد صديقتك، واذا كان شقيقها يشبهها بتصرفاته فإن لي كل الحق ان ابقيك في المنزل.

انفجرت قائلة:

- يا لها من بصيرة نافذة! يا لها من ملاحظات ثمينة! ومن انت حتى تفرض علي من يمكن ان يكون من اصدقائي؟

- انا الرجل المحظوظ يا سيلين، أنا الوصي القانوني عليك!

- لا تنادني سيلين... إن ذلك يزعجني.

ابتسم بليك محيياً:

- سيلين هي شبيهة القمر. وانت فعلاً لا تستحقين مثل هذا اللقب، لأنك لست سوى ساري الحمقاء المتحذلقة.

- وانت لا تخرج عن كونك ناقداً سيئاً يكرهني ولديه فكرة سيئة عن طباعي، ويهدف دائماً إلى تحقيري.

- بودي إسكاتك.

أجابها ببطء:

- صحيح ان لديك القدرة على التعبير لكنك متقلبة ومشاكسة

في اغلب الأحيان، ثم ان عندك ما يكفي من الجاذبية التي تملؤك بالحيوية حيناً وترميك في احضان الصمت حيناً آخر. فاذا استطعت الخلاص من كل هذه النقائص اللاذعة قد تصبحين امرأة!

- لا أصدق انك تعني ما تقول.

قالتها وهي ترمقه بنظرات ملؤها التحدي. إذا كان بأقواله يريد تحطيمها معنوياً فلن تمكنه من ذلك، لأنها من النوع الذي يصعب إخضاعه. لكنه ابتسم قبل ان يقول:

- لا ترمقيني بمثل هذه النظرات يا ساري، انا اعرفك جيداً ولن يدهشني ما قد تفعلين.

- هذا وضع يمكنني تحمله لو انك تظهر المرونة في بعض الأحيان، ثم اني لا ارى أي ضرر في رحلتنا الى أوليد.

أجابها بلا مبالاة:

- باستطاعتك دعوتهم إذا شئت، المهم في الأمر يا ساري ان تبقي تحت اشرافي.

ارتعش صوتها:

- هذا مدعاة للسخرية... انت مقدود من حجر!

- لكني اعتقد ان سليل عائلة شلتون ليس كذلك. انا لست غبياً يا ساري، تأكدي انك في نظر أهل البلدة جميعاً هبة ارسلها الله لذلك الشاب الذي له شقيقة حركتها الحياة، واشبعتها من معين تجاربها بشكل سيبقيك دائماً طفلة في نظرها. وانا في الحقيقة استغرب استطاعتك الانسجام معها.

تهدجت نبراتها:

- حسناً، اني لا انكر معرفتك الأعمق بطبائع الناس ونواياهم، اعترف... في بعض الأحيان يخيل الي أني لن اتحرر من قيدك أبداً.

وهذا شعور ينذرني بالخطر، انت إنسان شديد الذكاء.

ـ في الحقيقة يهمني كل ما يتعلق بك يا ساري. اقول ذلك وأنا واثق من انك لن تصدقيني. لكن امورك تهمني رغم ان طريق الوصول الى تفاهم معك وعر وصعب.

ـ أنت لا تعرف للحياء معنى.

ـ لكنك معجبة بي وهذا الاعجاب يسري في دمك، لكن من الطبيعي ان تنكري ذلك.

كانت ساري تحاول الظهور بمظهر هادىء يشبه هدوء بليك، ومع ذلك لم تستطع النظر الى عينيه اللتين كان لهما اكبر الأثر عليها. كان بليك لغزاً وعبقريته تمنعها من خوض غمار اي نقاش معه. ارادت ان تصرخ مثل أي طالبة مشاغبة كما كان يحلو له ان يسميها، ولطالما آلمها ذلك. لا شك انه كان مؤمناً بأن فيها الكثير من طباع أمها، لكنه نسي تأثير آل ميريديث الذي كان يجري في عروقها ايضاً. صممت ساري ان تقف لبليك بالمرصاد هذه المرة مستخدمة كافة انواع الخدع، حتى الأنثوية منها.

ـ لكن السيدة شلتون اصرت على قدومي.

قالت ذلك بصوت ناعم قبل ان تكمل:

ـ كما انه ستقام بعض الحفلات والنزهات هذا عدا الجولات في الأسواق. . .

قاطعها بليك بضحكة قاسية قائلاً:

ـ جولات في الأسواق! اسمعي يا عزيزتي، انا اعرفك، اعرف انك انثى بكل معنى الكلمة ومغرورة. لكني سأضطر آسفاً الى تحطيم غرورك. وشلتون هذا يحبك، اليس كذلك؟ عاطفة نبيلة دون شك، لكن مع الأسف لا تقع فيها، وهذا ما سيدفعني الى ابقائك في

مالبارا على سبيل الاحتياط، وعليك انت ان تكوني شاكرة ممتنة.

ـ انت لا تنصفني، مع اني ربيبة الفضيلة بفضل جهودك. واذا لم استطع ان اصون نفسي في سن التاسعة عشرة فلن استطيع ذلك ابداً.

نظر اليها بليك بتعال قبل ان يقول:

ـ اخيراً. . . اعترفت!

فارتبكت ساري:

ـ انا لا أفهمك. . . اني لا افهم شيئاً.

ـ لكن هذا الأمر وما يترتب عليه من نتائج واضح تماماً. يستطيع بيتر شلتون اغواءك دون عناء، لذلك ادعوك الى البقاء في مالبارا لأنها الأمان بالنسبة لك. علاقة الصداقة هذه التي تتكلمين عنها بينك وبين شلتون قطعت اشواطاً بعيدة، ولا أعتقد انك جادة حقاً بشأنها، لأنك لو كنت كذلك لأصبحت معاملتي لك ارق. لقد بدأت تشعرين بقوتك وتحاولين الرفرفة بأجنحتك كالفراشة. وهناك شيء آخر، انت لا زلت في التاسعة عشرة، طرية العود. اما هو ففي السادسة والعشرين أو ربما أكثر، والاختلاف بينكما جذري. فتاة جميلة مثلك مع مهر محترم يمكنها ترجيح الكفة لصالح الزواج.

ـ مهر!! هذا مضحك حقاً.

سألها بليك:

ـ وهل تعتقدين حقاً اني لن اعطيك مهراً؟

ـ نعم، اني اعتقد ذلك. ورمت يدها في ارتباك ليمسكها بليك قائلاً:

ـ توقفي يا ساري. . . توقفي الآن ما دمت تملكين زمام المبادرة. كان نهاري طويلاً وشاقاً، وانت تزعجينني بثرثرتك. انا لا احاول

افساد سعادتك، صدقيني. لكن بصراحة، لم تعجبني صديقتك او عائلتها.

- احسست بذلك. قالت ساري بذعر: انها جستين التي من المفروض ان تكون صديقتي. لكن لا يمكنها ابداً معارضة اخيها. لقد دربت عائلتك تدريباً مدهشاً يا بليك وهم يعتمدون عليك في كل شيء.

اجابها وقد اخذ التعب منه كل مأخذ:

- هذا ما تفعلينه انت ايضاً عندما يحلو لك ذلك. هيا بنا نعود.

سألته بمرارة:

- نعود الى اين؟

- نعود الى البيت.

اختفت عيناه تحت ظل قبعته وبدا مثالاً للرجولة والقسوة. تنهدت ساري دون وعي منها.

- واذا وافقت على البقاء مع جستين؟ ارجوك يا بليك اسمعني.

تردد قليلاً ثم رفع رأسه ونظر اليها نظرة ملؤها التساؤل. مرت لحظات درس خلالها الموضوع قبل ان يقول:

- لا... لأن المسؤولية حينئذ ستقع بكاملها على عاتق جستين، علماً بأن جستين لا تتهرب من المسؤولية. ستترك سعير هذه المغامرة العاطفية الوليدة ينطفىء، مع اني اعلم ان شلتون ينبع الخير على القاصي والداني.

استغربت ساري:

- لا يمكن ان يكون ما تقوله صحيحاً، لكنك تقول اي شيء لتؤلمني.

اجابها بغضب:

- يا للجحيم...

وغاصت اصابعه في لحمها قبل ان يقول:

- توقفي عن تصويري بشكل وحشي!

- لكنك تعمل جاهداً على تثبيت مثل هذه الصورة في ذهني.

شدها باتجاهه بعنف، فاقترب الجواد الأسود الأصيل من الفرس الكستنائية الرقيقة قبل ان يقول بصوت خافت حاول ان يبعد نبرات العداء منه:

- ساري... لا تقولي هذا. دعينا نتدارك الوضع المتفاقم بيننا. لقد فهمت الأمر بوضوح، ولم يعجبني ما توصلت اليه. لقد بدأ الناس يتكلمون وهذا طبيعي. وقد وصل بعض ما يتهامسون به الي. منذ اتيت الى هنا، اي قبل سنة تقريباً، وصورك في الكثير من المجلات اللامعة، وهذا باعتقادي شيء مزعج جداً. وهناك اشياء كثيرة لا يمكنك فهمها.

ان عندي ما يقلقني ويشغلني بسببك، ولكني اراك لا تفكرين الا بكيفية تمضية وقت ممتع مثل اي طفلة صغيرة.

- ايها الطاغية التعس، انت تعرف ان هذا ليس بصحيح.

اشتدت قبضته على لحمها قبل ان يقول:

- رددي ما سبق وتفوهت به وسترين بعدها كيف سأقوم اعوجاجك.

اغرورقت عيناها بالدموع قبل ان تقول:

- حقاً! اتعرف ماذا تشبه؟ انت تشبه طاغية شرساً لا قلب له.

استغرب:

- صحيح؟

وبقيت عيناه في الظل بينما استراحت اشعة الشمس على ذقنه.

- دعينا من هذا. الحقيقة يا سيلين اني اعتني بك بشكل ممتاز، لكنك اضعف من ان تقدري ذلك حق قدره. اذا نسي شلتون الموضوع قليلاً فسيبدأ حتماً بالبحث عن فتاة اخرى يستطيع ان يقضي معها وقتاً ممتعاً. انت لست من هذا الصنف حتماً.

لفت دموع ساري المنظر الممتد امامها بضباب رقيق:

- تقرير جستين كان علامة سوداء بحقه.

- بل بحقهم جميعاً، ارجوك دعي جستين وشأنها، لأنها تحبك.

- ربما كان الأمر كذلك.

تمتمت بفظاظة وهي تعلم في قرارة نفسها انه يقول الحقيقة:

- ولكنها قد تكون مخطئة بحق بيتر. اتتصوره مجرماً؟

اجابها بسرعة:

- هو ليس مجرماً لكني وضعته على قائمة (غير المرغوب فيهم)، افتفهمين ما اعني؟

- نعم، لقد فهمتك تماماً. كانت زرقة عينيها تشع بالحياة:

- انت قدري يا بليك، وتزداد كل يوم سوءاً،

قال ساخراً:

- لا يهمني ذلك، خاصة انك لست سوى طفلة لا حول لها ولا قوة. هيا يا ساري اعترفي ... اعترفي بأني صاحب اليد الطولى في حياتك.

- في ذلك اهمية كبيرة بالنسبة لك، أليس كذلك؟ [سألت مستاءة:] الا يحق لي ان املك شيئاً؟

- اي شيء او اي شخص تريدينه ما عدا شلتون هذا. لأنه ليس شخصية مهمة ابداً.

- قابله، وسترتاح اليه.

- لا اظن ذلك، يا صاحبة الشعر الأحمر.

التقط بنظره الحاد عاصفة رملية قادمة، فأمر ساري:

- هيا بنا، ان العاصفة قادمة باتجاهنا.

كان رد فعل ساري عنيفاً: احمرت وجنتاها، وتهاوت قبعتها كاشفة خصل شعرها الأحمر اللامع.

- اتمنى ان تبتلعك دوامتها!

- هذا لن يكون يا عزيزتي. هيا بنا، لقد اطلنا المكوث هنا.

تناثر الغبار الأحمر حين اندفع الجواد الأسود بسرعة الى الأمام، بينما انحنى بليك قليلاً ليصفع فرس ساري الناعمة وينطلقا بسرعة عبر سهل من الحشائش، بينما حفنة من الأزهار البيضاء تدور فوق رأسيهما...

من الصعب جداً على الانسان ان يضيع في دنيا الغضب وهو يركب حصانه، وهذا ما حصل لساري التي ساعدتها لذة الركوب وروعة المساحات الممتدة امامها في التغلب على امتعاضها. كان بليك فارساً ممتازاً، رشيقاً ووقحاً في نفس الوقت، ولم يكن لديها حتى الأمل بمجاراته.

شعر بليك بأن ساري تنوي ان تسابقه فخفف من سرعة جواده بشكل غير ملحوظ. كان على الانسان ان يلتزم جانب الحذر مع ساري التي لم يكن من الممكن التكهن بتصرفاتها، لأنها ممتلئة بالحياة و... عصبية المزاج. عمل جاهداً حتى يتركها تتقدمه، جسم صغير يقفز على ظهر الفرس أمامه عبر الأرض المزروعة بالحشائش، باتجاه بستان من النباتات الصحراوية المزهرة. اذا كانت من النوع المدلل - وقد كانت بالفعل - فان السبب في ذلك يعود اليه، لكنه سيضع لهذا الدلال حداً. كان باستطاعة ساري القيام بأي شيء تريده، كما انها

من النوع الذي يقطر جاذبية، هذا اذا لم تصر على ان تسيء التصرف.

لم يكن بليك يخدع نفسه عندما تصور للحظة انها نسيت كل ما يتعلق بعائلة شلتون، احتمى بالظلال الخضراء اللاهية، وراح ينظر اليها وهي تمد ذراعيها في الهواء كراقصة باليه معلنة انتصارها، وقد امتلأ وجهها صحة وعافية وظهر على اجمل صورة.

قالت فرحة:

- مستواك في تدهور مستمر!

- اتعتقدين ذلك فعلاً؟

سألته بتعجرف:

- ماذا كنت تفعل بحق السماء؟

- انتظر يقظتك!

شيء ما في نبرات صوته وعبوس وجهه ترك ساري تلهث. (يا للغرابة. بليك الذي اعرفه اختفى ليحل محله انسان آخر مختلف تمام الاختلاف، إنسان غريب لكن بدانيه قوة).

قالت بشراسة:

- ها انت قد افسدت علي فرحتي، ولم تحاول الدخول معي في السباق!

رد عليها ببطء:

- وهل في ذلك ما يهم؟

اجابته:

- طبعاً.

وعاد من جديد بليك الذي تعرفه جيداً بسخريته وعجرفته. وزال عنها الخوف: (كانت لحظة غريبة مرت بسرعة ولن اضيع الوقت

بالتفكير فيها).

هب الهواء من جديد لينثر البذور والبراعم، لكن عقلها كان يحاول تحليل تلك الظاهرة الجديدة في بليك، كما يفعل دائماً عندما يواجهها خطر تتمنى الخلاص منه.

سألها فجأة:

- اتوافقين على عودتنا الى دنيا الصداقة من جديد؟

- حسناً.

وافقته لكنها بقيت متقوقعة داخل نفسها.

وشقت الخيول طريقها بين الحشائش المشبعة بالروائح الزكية. وفي البعد اجتمع قطيع من الثيران الصغيرة حول ينبوع ماء، ثم انساق الى جزء من القناة جاف مع راع صغير امتطى صهوة جواده المخصص للعمل وجعل يتأمل القطيع وهو يرد النبع ليشرب.

كانت ساري تشعر بالتصاقها بهذا الجزء من العالم رغم كل خلافاتها مع بليك. انها تعشق هذه البقعة وتعرفها في اسوأ اوقاتها: رأت فيها وجه الخوف والقسوة، عاشت ايام الجفاف والفيضان، لكنها بقيت في نظرها بقعة من الأرض ذات جاذبية قوية خاصة. كانت غالباً اقرب الى الخيال حيث المساحات الصحراوية حمراء واسعة تغطيها الأزهار البرية، والعصافير تتراقص في سمائها فرحة بالرحيق والألوان. ان مالبارا منطقة صحراوية فريدة رغم كونها مخيفة معزولة. وحتى منطقة الأفق فيها كانت اروع من اجمل حديقة في العالم. في مالبارا تستطيع ان تطوي بناظريك مساحات واسعة من الأرض المغطاة بالأزهار الرائعة التي تتمايل امام عينيك في عرض رائع لا ينتهي. اما عندما تتقاذف تلك الأزهار رياح الصحراء، فقد يداخلك الخوف بأنك لن ترى براعمها مرة اخرى. لكن البراعم

تعود دائماً الى الظهور لتغطي قبور الرحالة والمستكشفين الذين فشلوا في الماضي.

كان منظر مالبارا المزدهرة رائعاً. اما عندما يحاصرها الفيضان من جميع جهاتها فقد كان مظهرها مهيباً، وكذلك الأمر في ايام الجفاف حيث تبدو مدمرة قاسية. لكن الأمطار عرفت في السنين الأخيرة طريقها الى مالبارا فجعلتها افضل مكان في العالم في نظر ساري التي تصورتها مارداً رقيقاً يتناسب في عظمته وقوته مع بليك الانسان، سيد القطعان التقليدي الذي عرف كيف يتذوق طعم النجاح. كل ذلك اشعر ساري بالضعف.

تأملت وجهه: كان محاطاً بهالة من القهوة والحزم، تترك فيك انطباعاً معيناً، بالاضافة الى كونه وسيماً. كان لطيفاً الا انه عنيد ايضاً، يقف حجر عثرة بينها وبين عائلة شلتون، كما وقف ذات يوم حاجزاً بينها وبين امها.

ـ اتريد الدخول في سباق مرة اخرى؟ [سألته ساخرة:] دون اعتبار السباق الأخير.

ـ لن تستطيعي التغلب علي ابداً يا عزيزتي.

واضاء عينيه بريق فضي.

ـ لا تكن واثقاً من ذلك كل الثقة.

لكن الكلمات كانت جوفاء رددتها وشعور غريب بالضياع يعاودها، مصطدماً بالمشاعر العدائية المتأصلة في نفسها: (لن اتحرر ابداً من تلك الأحاسيس التي اثبتها البعد الجديد الذي اكتشفته في علاقتي المتقلبة مع بليك).

كانت خفيفة الوزن، لكن فرسها الذكية الحساسة التقطت موجات خوفها وقلقها، فبدأت تمشي عنجة، مما جعل التوتر يتسرب

الى وجه ساري التي استولى عليها الخوف من مشاعرها، وذلك لاعتقادها بأنها استغلت: (قد يكون باستطاعة بليك السيطرة على حياتي، ولكن عندما يصبح سبب ارتجاف يدي الممسكة بعنان الفرس، عندئذ يجب علي ان اهرب!).

كان بليك ما يزال يتطلع اليها بنظرة قاسية فيها تأمل تصورته عجرفة. احست بنظراته تلك كما لم تحس بها في يوم من الأيام مما زاد من سعير ثورتها، فأتت ردة فعلها على هذا التواصل الصامت الغريب بينها وبينه على شكل ضربات قاسية تلقتها جنبات فرسها التي حاولت ان تهرب على ظهرها من حضور بليك الطاغي.

غضبت الفرس من ثورة راكبتها، فابتعدت عن رفيقها بسرعة وخفة ينبئان عن اصالة منبتها. ولامس شعر رقبتها وجه ساري التي انحنت على الرقبة اللامعة المتمايلة. كانت سرعة الفرس تتزايد، ولم يكن لديها الوقت الكافي للتفكير بأي شيء، حتى تعقيدات بليك لن تزعجها الآن.

في ذلك الحين كانت السماء تظللها بزرقتها، وتملأ اسماعها بزقزقة العصافير التي تبعتها حتى وصلت الى اول مجموعة من الأسيجة والحواجز. وطارت فوقها بينما كانت قبعتها تصفع ظهرها وخصلات شعرها الأحمر تتطاير بجنون.

وظهرت حواجز اخرى قبل ان يصفعها ظهور جواد بليك الذي سبقها بخطواته الأسطورية، مع انها كانت تعتقد انها سبقته بمراحل. لكنها تناست سرعته وحنت رأسها على رقبة فرسها، وضغطت بقدميها على خاصرتها، بينما ازدادت وجنتاها احمراراً. في تلك اللحظات نسيت خوفها وقادت فرسها بسرعة كلها تصميم على الانتصار على بليك.

برز امامها سياج كالحلم، ورغم شجاعة فرسها فقد انحرفت خائفة من ذلك الحاجز المفاجيء الذي كان اعلى بقليل مما اعتادت عليه. ولو ان ساري اطلقت عنان الفرس بقوة اكبر لاستطاعت تجاوز العقبة بسلام. لكن، ولما كانت الحالة على ما هي عليه، فقد انحرفت الفرس عن خط سيرها قاذفة ساري من فوق ظهرها بسهولة لتستقر فوق كومة من القش انقذتها من الاصابة بجروح بليغة.

تقطعت انفاسها، وانطفأت فيها نار الفخر والتبجح، قبل ان تتقوقع في مكانها ساكنة...

- ما اغباك...

قالها بليك بصوت تركت الصدمة آثارها عليه بينما كانت يده القوية الخبيرة تتأكد بثقة من سلامتها.

- معك حق.

همست بألم حالما انتظمت انفاسها وبقيت بعدها لدقائق مثالاً للهزيمة.

- طلبت منك التخلي عن الفكرة.

اجابت:

- انت دائماً تطالبني بفعل شيء.

قالت كلماتها في محاولة غريزية لمقاومة بليك. لكن مقاومتها فشلت امام اصابعه التي غاصت في شعرها وادارت وجهها نحوه. وامام قوته شعرت بالضعف، بينما استمرت يده تداعب وجنتها وشعرها. سمعته يهمس باشياء لم تفهمها بعد زوال تأثير الصدمة عن اذنيها. سألته:

- كيف حال تينا؟

- كانت اكثر حظاً منك. لا بد انك شعرت انها سترفض القفز من

فوق سياج عال كهذا.

- انها ماهرة بالقفز عادة.

- نعم... لكنها متعقلة اكثر منك... لا تتحركي... انها بخير.

ودفعها بيده برقة افقدتها حتى القدرة على الكلام قبل ان يكمل:

- استريحي قليلاً، والتزمي الصمت.

خجلت ان تترك العنان لدموعها فقاومت بقولها:

- تبدو قلقاً يا بليك!

فأجابها:

- اعتقد انك مصابة بدوار.

- انا لم اعهدك مندفعاً هكذا... اتشعر حقاً اني عبء ثقيل على كاهلك؟

اجابها مبتسماً:

- نعم يا سيدتي.

اعادت رأسها الى الوراء وكأنها تواجه خطراً معيناً: وبليك قريب مني، وقربه يزعجني دون اي سبب ظاهر.

سألته بخوف:

- ترى اين قبعتي؟

- لا لزوم للعجلة... ستجدينها، ما يهمني هو انت.

- لا اصدق هذا يا بليك.

قال لها:

- استطيع ان اقنعك بسهولة.

- كيف؟

- بمرور السنين.

- كدت اموت.

- لكنك ما زلت على قيد الحياة . ربما توجد بعض الرضوض، على كل حال اياك ان تعيدي المحاولة مرة اخرى لأنك في المرة القادمة قد لا تكونين من المحظوظين.

- كلا. . قالت وقد بدأ اللون يعود الى وجهها، لكن الارتباك كان لا زال واضحاً في عينيها وهي تتابع:

- آسفة اذا كنت قد اخفتك.

- قال بليك برقة:

- الغريب انك لا تكرهينني ابداً يا ساري.

- ومن قال لك اني اكرهك؟

قالت ذلك وهي تبتعد عنه في محاولة للجلوس من جديد.

اخافتها الآلام والأوجاع قليلاً: (اذا نظرت الى عينيه فسيكون ذلك بمثابة استسلام جزء غال مني).

قال:

- لطالما قلت ذلك في مناسبات متعددة!

ردت عليه بقلب خافق وقد تنامت فكرة اثبات وجودها امامه:

- كنت اكذب.

كان كل شيء يتغير بطريقة رقيقة غامضة. واشرق وجهه الأسمر بابتسامة حلوة قبل ان يقول:

- ايتها الفاتنة، دعيني اتمتع بهذه اللحظات التي قد لا تعود ابداً.

ترددت:

- لا اعرف ما الذي يحدث لي!

- اصدق هذا.

رمته بنظرة مرتبكة: (الافضل لي ان اكسب وده حتى لا اتوه في

هذا العالم على غير هدى).

- تشبه مياهاً مجهولة عميقة يا بليك.

- اما انت فجدول رقراق.

تأملته وهو يراوغ ابتسامة ساخرة على شفتيه قبل ان تلامس اصابعها بشكل منعها حتى من تحريك رأسها، فالتزمت الصمت وتركت مشاعرها تسابق الزمن. اما عيناها فاستنجدتا به طالبة المساعدة، تاركة اياه يتفهم ضعفها والقلق الذي يساورها بشكل عاد به الى دنيا الواقع.

- اعتقد انك تستطيعين النهوض على قدميك.

كان كلامه يقطر ثقة كما هو الحال دائماً. تصاعد انينها وهي تحاول الوقوف على قدميها، فحملها اليه مطمئناً:

- استرخي، ودعيني اساعدك، فأنت لم تستعيدي قواك بعد.

- اشعر وكأني حطام.

افرحه اعترافها، فابتسم لها وكأنها طفلة صغيرة بريئة وهو يقول:

- لقد مررت بوقت عصيب دون شك.

داعبها الأمل:

- ستتركني اذن اذهب لزيارة عائلة شلتون؟

- التزمي حدودك.

- لا مجال للنقاش اذن؟

- نعم، وانت تعرفين ذلك جيداً. باستطاعة حصاني بارغلوا حملنا معاً. ما رأيك؟

- لا مانع عندي.

قهقه بليك:

- يا للغرابة.

فخاطبت نفسها: (على الرغم من ان بليك هو الذي قام بتعليمي كيفية ركوب الجياد وكثيراً ما شاركته ركوب حصان واحد في الماضي، الا انني اشعر اليوم بشعور غريب غامض، يرتعش له جسمي كله، شعور رماني في مهاوي الضياع، ويكاد يفقدني وعيي).

كانت بين الحين والحين تشعر بعينيه تتأملانها. كان مسروراً بوجود ساري، لكن سروره انقلب شيئاً فشيئاً الى رغبة اكيدة في اعادتها الى البيت سالمة مرة اخرى.

كانت لرحلة العودة نشوتها، وخاصة حين اشرفا على المنازل من موقع نلحيري، وشفتين القديمة، وقبة الحجر الرملي الحمراء الرائعة التي اطلت على المركز وكأنها تحرسه. عندئذ فقط شعرت ساري بارتياح:

- اذن هنا كانت نقطة بداية مالبارا، ذهب وكنوز في البراري.

سألها:

- الا يخيفك ذلك؟

فهزت رأسها مجيبة:

- قليلاً، لكن ذلك لا يهم.

ضعف صوتها وهي تتأمل وجهه وعينيه في اشعة شمس الغروب. تطلعت اليه وكأنها تراه لأول مرة، وتريد ان تتذكر صورته دائماً.

- ما الذي يزعجك يا ساري؟

- لا شيء ابداً. اعتقد انه تأثير سقوطي من على ظهر الفرس.

فقال لها:

- لا تغالطي نفسك.

اتسعت عيناها:

- انا لا اغالط نفسي لكني اشعر اني لا اعرفك في بعض الأحيان.

انت تتغير. . .

- كلا يا ساري، انا لا اتغير.

قالت يائسة:

- بل . . . صدقني.

- لتنسى ذلك.

قالها وهو يغير الموضوع:

- حان الوقت لوضع بعض التعزيزات في هذا المكان.

- دعنا نهبط يا بليك، لأني بحاجة الى نقع نفسي في ماء ساخن للخلاص من التشنجات والالتواءات.

وهبط الجواد مع الغروب باتجاه حزام الأشجار الكثيف الذي يشكل ساحة جميلة. خلال السنوات الماضية كان قد تم تجديد وتوسيع مخطط المنطقة بشكل ملحوظ، حتى صارت مالبارا واحدة من افضل المراكز لتربية الماشية في البلاد.

كانت قطعانها من افضل الأنواع واكثرها اصالة. اما القسم الأعظم من مدخولها فيأتيها من عمليات البيع في المزادات الموسمية لأفضل انواع الماشية، حيث كان الرعاة يأتون مع عائلاتهم من جميع انحاء البلاد ومن وراء البحار لحضور هذه المزادات وشراء ما يمكنهم لتحسين نوعيات قطعانهم. في ذلك اليوم تختلط هيبة الاستعراض والبيع بهيبة المكان المحاط بالأشجار الممتدة حتى آخر المكاتب والمخازن التي تلتف حول البيوت ذات الطابق الواحد، والتابعة لأعضاء اللجنة، اضافة السوار حول المعصم.

اما في الاتجاه المعاكس للاصطبلات، فتوجد اماكن لمربي الماشية مع مطبخ. كان المركز كاملاً بتجهيزاته التي وصلت الى حد وجود مهبط للطائرات مع طائرتين خفيفتين وطائرة عامودية، تستعمل لنقل

الرجال والعناد في اوقات التجمعات الكبيرة الطويلة الأمد.

كانت المحطة مثالاً متميزاً للتمدن والعيش الرغيد في البراري، حتى بالنسبة لحكام المنطقة. اما بيت الأباء والأجداد الذي يحمل اسم ماليارا فقد كان بعيداً عما حوله، شامخاً على شكل بناء من طابقين، بني مع بداية القرن بتكاليف باهظة. لم يكن هناك ما يميزه سوى انه ذو طابع ايطالي من حيث كونه مؤلفاً من طابقين، بني على ارض مشبعة بأشعة الشمس.

اما ساري فكانت كلما عادت الى ماليارا بعد غياب، تترك موجات السعادة والقوة تغمرها لأن المكان كان مثالاً رائعاً للنجاح.

وفي الملجأ المبني من جذوع البلوط اعطى بليك تعليماته لأحد العمال بأن يأتي بفرس ساري التي كانت تسير جنباً الى جنب مع حصان بليك العربي الأصيل في الطريق الى الحظيرة.

ومع اقتراب ساعات الغروب، كانت ارض المركز تعج باعضاء اللجنة المسؤولة وعائلاتهم. ابتسمت ساري ولوحت للجميع، بينما بقيت ذراع بليك تحيط بها على ظهر الجواد، حتى عندما انحنت لتكلم جيمي كونوي، ابن مراقب المزارع لدى بليك والذي لا يتجاوز السادسة. اشرق وجه جيمي الملوح بالشمس بابتسامة رائعة وهو يركض الى جانبهم راجياً بليك ان يسمح له بركوب الحصان الأسود. لكن امه شيرلي، نادته طالبة منه عدم ازعاج الرئيس، فتركها جيمي راكضاً باتجاه كوخ عائلة كونوي الأنيق.

هدأت اعصاب ساري وتنهدت بارتياح سعيدة بوصولها الى البيت. كان الجواد يتبختر باتجاه الاسطبلات الممتدة على خط مستقيم طويل. عندئذ داعبت ساري اذنه المخمليتين. استدار الحصان برأسه اليها وكأنه عرفها دون ان تؤثر استدارته في جمال

خطواته الدقيقة، المتميزة، والمشبعة بالقوة، قوة قوائمه الطويلة التي مكنها ضرب الأرض بعزم وحزم ساعة الانطلاق.

وفي فناء الدار المرصوف نزل بليك عن حصانه بخفة ماداً ذراعيه لساري التي قفزت نحوهما مبتسمة مشرقة العينين، وكأنه لم يكن هناك خلاف او نزاع بينها وبين بليك. قالت له:

ـ كان ذلك رائعاً.

ـ هذا يا عزيزتي حصان يستحق الافتخار به.

ـ لا شك في ذلك. متى يمكنني ركوبه؟

ـ لا يمكنك ذلك إبداً.

ابتسمت إبتسامة لا مبالية: (على اي حال بارغارا اقوى من ان استطيع امتطاءه).

سألها:

ـ هل انت على ما يرام؟

اجابت وهي ماضية تتبختر:

ـ انا على ما يرام.

واجتاحتها موجة من الامتلاك لم تكن لتصدق وجودها: (انا جزء من بليك، من ماليارا، من هذا كله. حتى جولاتي الخاسرة معه نسيتها. قد اذكرها غداً وخاصة بوجوده، لكن المهم هو الوقت الحاضر).

وتطلعت ساري الى الساعة الكبيرة التي تتصدر البرج الثابت: (لدي وقت للاستحمام قبل العشاء. كان للسقطة من على ظهر الفرس تأثير غريب علي، تأثير رائع. اشعر بنفسي رابحة واستطيع ان افعل اي شيء. اذاً لك سأتملقه).

فكرة التملق جعلت إبتسامة كبيرة تضيء وجهها دون ان تلاحظ

ان عيني بليك كانتا تتأملانها بشيء من السخرية. لكن احساسه انذره بعدم ازعاجها. كانت ممتلئة بالحيوية، وعلى استعداد ان تستكشف جانبه الأفضل وذلك بالتقرب منه، وليس بلعب دور المنبوذة المأساوي.

كانت عيناها باهدابها الطويلة تلمع كالياقوت الأزرق، وخصلات شعرها تتراقص كصفائح نحاسية رفيعة حول وجهها الممتلىء بنضارة تبرز جمال تقاطيعه.

وصلت الى حدود كتفه طولاً اذ وقفت برشاقة الى جانبه: (بشرة بيضاء تعكس ضوء الشمس، وعينان زرقاوان فيهما براءة الطفولة، وقد امتزج ذلك كله بأنوثة طاغية. لا عجب ان بيتر شلتون يتحرك بسرعة ونواياه معروفة. على كل حال هذه طريق لا بد لي من سلكها، ساري ليست بحاجة الى اي من عائلة شلتون).

سألت فجأة:

ـ ما الذي يزعجك؟

اسرها ببريق عينيه قبل ان يجيب:

ـ استغرقت في التفكير.

استماحت:

ـ كان لدي احساس خفي بأن فرحتي لن تطول...

ـ تذكري انك بحاجة الى حمام ساخن.

وبرز العداء القديم الى السطح من جديد مصحوباً بحماس غريب: (ربما كان بليك ساحراً). وبكل الرشاقة التي هي جزء منها، استدارت هاربة من امامه ولسان حالها يقول: (المعيشة مع بليك تشبه ركوب الأرجوحة).

٢ - أوهام وأجنحة

مضى صباح ذلك اليوم والطائرات الخاصة تتهادى على المهبط حاملة اصحاب القطعان الذين استولى عليهم الحماس لرؤية نتاج مالبارا من ثور سانتا جيروترودس الثمين المسمى كلوادي، والذي يزن حوالى الفين وستمائة رطلاً، ويعتبر افضل منشىء للقطيع في المركز. كان تناسل القطعان هو عصب المراكز الكبيرة، لأن اصحاب الماشية يهتمون بأصالتها. اما اثمان المبيع المرتفعة في مالبارا، فقد كانت تعتمد على السلالات الأصيلة التي تربى فيها - اصالة مستمدة من سنين طويلة من التناسل، والفحوص، والتحاليل اعطت للمركز سمعة طيبة تثبتها غرفة مليئة بكؤوس الفوز وشهادات التقدير. كانت سلالة السانتا جيروترودس سلالة فاخرة محمرة اللون،

تستطيع تحمل الشروط الطبيعية القاسية في ذلك القسم الجنوبي الغربي من البلاد.

يوم معاينة القطيع كان يوم عمل للرجال فقط، وهو بذلك يختلف عن المزاد الرسمي الذي يأتيه الانسان مع فرد من افراد عائلته، كما كان يقول هانو ميريديث عم بليك. كانت المبايعات الشهيرة في مالبارا تتم في جو يختلط فيه العمل بالمتعة مما يعطي للموجودين وعائلاتهم انواع التسلية والترفيه بعد الظهر، وقبل البدء بعمليات البيع. ثم يأتي مهرجان اللحوم المشوية في المساء، وعرض الأسعار في صباح اليوم الثاني. وفي الليلة الأخيرة يجري الاحتفال الراقص المكتظ بالزائرين والمشترين. كانت تلك الفترة من الفترات المنتظرة طوال السنة، يجتمع خلالها صفوة المربين في عالم الماشية بالكثير من المرموقين اجتماعياً. وفيما يتعلق بأنسباء عائلة ميريديث، فقد كانت الزيجات جيدة. لكن شقيقة بليك الصغرى سكوتي، المولودة باسم ستيفاني، فقد تزوجت زواجاً ممتازاً من احد المستقرين امثالهم.

كانت سكوتي في ذلك الصباح مسترخية الى جانب بركة السباحة سعيدة بلون جلدها الذهبي. اما شعرها الداكن اللامع، فقد جمعته على قمة رأسها غير عابئة بمن كان يسعى لخدمتها. كانت فتيات البيت الصغيرات، يأتين لتحيتها بابتسامة كانت تردها لهن. اما ساري فلطالما اعتبرت سكوتي منبع اخبار البلد واهلها، لأنها من المعروفات بالثرثرة، ورغم انها لا تعرف شيئاً عن عائلة شلتون، الا انها حين اطلعت على الأحداث من وجهة نظر ساري قالت لها:

- لكنه لا يستطيع يا عزيزتي.

اكدت ساري:

- لا بل يستطيع وقد استطاع فعلا. انه مجنون بالقوة.

- مهلك يا عزيزتي.

قالت سكوتي بانزعاج، لأنها على الرغم من بلوغها الرابعة والعشرين لم تتعود انتقاد اخيها الذي تحب:

- بليك يعرف كل شيء حوله.
- اتعنين ان لديه عيوناً في كل مكان؟
- نعم،... ولن تنفعك مقاومة تياره، لذلك لا يسعك الا الاعتراف بمكانته في حياتنا جميعاً بما انك من العائلة. فكري في ذلك بعمق يا عزيزتي.
- لقد فكرت واعتقد ان طريقتي هي الأفضل.

تطلعت اليها سكوتي بحب لا اثر للحسد فيه قبل ان تقول بمرح:

- اعتقد ان عدم وقوعه في حبك حتى الآن هو الجنون بعينه!

رفعت ساري رأسها قبل ان تسأل خائفة:

- من تعنين؟

اجابت سكوتي:

- بيتر طبعاً، اليس هو المقصود بحديثنا؟

عادت ساري الى الاسترخاء قبل ان تقول:

- اجل طبعاً.

كانت في تلك اللحظات تشبه بطلة طال احتجازها، وتابعت:

- بيتر صاحب منزلة اجتماعية، اشقر ورقيق في معاملته. ثم انه زار اماكن كثيرة ونعم بأشياء كثيرة.
- اذا صح ما تقولين اتمنى ان تكون المعاملة ضمن حدود المقبول.

رمتها ساري بقطعة ثلج قبل ان تقول:

- لا تكوني سخيفة! سأفعل كل شيء على طريقتي. انت تستطيعين فهمي، لأنك لست جستين.

ـ لا سمح الله! عل فكرة، اعتقد ان حزب كلايف في طريقه الى السلطة.

صرخت ساري:

ـ ليذهب كل هذا الى الجحيم. دعينا من السياسة والكلام عن الجميع، لأنهم يتهافتون عل السلطة لارضاء انفسهم فقط.

ـ معك حق، كلايف من هذا النوع فعلاً.

تجاهلتها ساري قائلة:

ـ اذا كنت من المحظوظات فسأستطيع الهرب مع جيك. لقد قال لي قبل ساعة انني اجمل امرأة في العالم.

ـ لقد قال لي ذلك ايضاً! لا اعتقد ان باستطاعته البحث عن زواج متميز مرة ثانية. زواجه الأخير كلفه الكثير، لا انكر انه مرجع في دنيا الماشية لكنه ليس كذلك في دنيا النساء.

قاطعتها ساري:

ـ جيك عائد الى ادليد.

قالت سكوتي بلا مبالاة:

ـ احذري يا عزيزتي من التلاعب بالنار، وانا لا اقصد هنا بيتر، انما بليك بعينيه الباردتين. اعتقد انه من الأفضل عدم اثارته.

فقالت ساري ثائرة:

ـ انا ذاهبة الى ادليد.

ـ لكن ما تريدين.

ـ هل بامكانك تغطية هربي؟

ـ وماذا اجني من وراء ذلك؟ الموت! لا يا عزيزتي لا استطيع، لأن بليك بارع في اكتشاف دخائلي.

قالت ساري وهي تعاود الجلوس:

ـ دعيني اعيد صياغة السؤال. هل ستعطينه معلومات عن هربي؟

ـ وهل ابدو مخبرة؟ طبعاً. لكن فكري بما ستمر به عندما يكتشف هروبك.

ـ سأترك له رسالة قد تبكيه. لقد فكرت بذلك ملياً. بوجود بليك لا يمكن لفتاة ان تتزوج.

لمعت عينا سكوتي:

ـ انا متزوجة، وكذلك جيل وجستين.

قالت ساري غاضبة:

ـ انتن اخواته.

فأغاظتها سكوتي بقولها:

ـ وانت غنمته الصغيرة المفضلة...

ـ كلام فارغ.

ـ انا واثقة مما اقول. لقد حارب بليك من اجلك بضراوة. أتعتقدين ان امك استسلمت بسهولة؟

اجابتها ساري ساخرة:

ـ نعم، اعتقد انها استسلمت من اجل المال.

ـ حتى الأغنياء لا يمكنهم التخلي عن اموالهم بهذه السهولة. حسناً، يمكنك الاستمرار في طريق حياتك اذا كان لا بد من ذلك. لكن اهتمي بنفسك واعتقد ان باستطاعتك ذلك. انا معك في ان بليك قد احكم قبضته حولك اكثر من اللازم.

ـ هو لا يعرفني مثلك.

ـ بل يعرفك مثلي تماماً يا صاحبة الشعر الأحمر!

ـ حاولت التوصل اليه بطرق مختلفة دون فائدة، لذلك سأقود مركبة حياتي بنفسي ولن اترك له الأمر في كل شيء، خاصة في هذه

الفترة حيث الوقت يمر ببطء بسبب انشغاله.

لفتت سكوتي نظرها قائلة:

- سيعتمد عليك كثيراً في اثناء المزاد.

- الأخ الكبير!

قالت وفي عينيها نظرة استسلام الشهيد للموت:

- اهكذا تنظرين اليه؟

- الرجل الذي يعطي كل الأوامر.

- انه الرجل الذي بفضله يعمل هذا المركز، ويجني الارباح الطائلة؟

- كفاك تعصباً للعائلة. اعرف ان لدى بليك ايجابيات كثيرة. هو عظيم وخارق.

اكدت سكوتي:

- وصفته بصفات حلوة!

- ينظر بليك الي نظرته لطفلة، لذلك اجد تلك الصفات ضرورية.

- غاليتي... انت طفلة متمدنة.

- سأثور يا سكوتي اذا لم انل بعضاً من الحرية.

فكرت سكوتي قليلاً قبل ان تقول:

- يصعب علي معرفة اصول مشاعرك نحو بليك. لا تحاولي تحميله عيبه خطأ ما لأن ما يهمه هو مصلحتك.

فأصرت ساري:

- انا ذاهبة.

- لا اريد ان اراك ترحلين، ومن جهة اخرى اعتقد انه يجب على بليك الا يتشدد معك الى هذا الحد، ثم ان جستين موجودة في ادليد.

التقطت ساري انفاسها وهي تنظر الى سكوتي نظرة استعطاف:

- هل تخبرينها هاتفياً؟

- عزيزتي... انا مع جستين مسالمة. لا، لن اخبرها، لأن جستين تحولت الى مضيفة في سبيل السياسة، وهي جادة جداً وملمة بالمعلومات والاحصائيات وتحاول اظهار معلوماتها تلك في مناسبات متتابعة. ذلك يخيفني فعلاً، لأن الأشياء العادية كالجياد والكلاب والرجال لم تعد تثير اهتمامها وقد لمحت اكثر من مرة باني لست ذات فائدة لها عندما اغيب اكثر ايام الأسبوع. كما انها تعتقد ان غيبة لأني لن اصوت لصالح كلايف. انها فعلاً غريبة الأطوار. شعرت ساري براحة قصوى لخلاصها من هيمنة جستين، فأردفت تقول بهدوء:

- في الحقيقة ان جستين متحمسة باخلاص لعالم كلايف الحكومي وبرامجه على كافة المستويات. انها تتتبع الأحداث وهي رائعة خلال الاجتماعات. انها يد كلايف اليمنى في كل شيء. هي انسانة قديرة جداً مثل بليك، واعتقد ان باستطاعتها ان تكون رئيسة للوزراء.

هزت سكوتي رأسها بخوف قبل ان تقول:

- قد يحصل هذا.

- ولم لا! انت واحدة منا.

- عزيزتي... انا زوجة شون. وهذا يكفي لانشغالي من مطلع الفجر حتى ساعة متأخرة من الليل. اتصدقين ان هذه هي اول فترة استراحة لي منذ اشهر!

- حان الوقت لنتحرك نحن النساء في اتجاه معاكس.

- اتركي ذلك عني. امضي الى الأمام واتركيني ضائعة في عالم يثير الاعجاب ويبحث على التعجب.

- الكثير من الأشياء خاطئة في هذا العالم يا سكوتي.

اعتدلت سكوتي في جلستها قائلة:

- اسمعي يا عزيزتي... انت تشبهين جستين فيما تقولين. انا ايضاً عندي بعض من الافكار الذكية التي تتلاحق في ذهني من حين الى آخر. لكني لا اقوم الا بما يترتب علي. وقد تستغربين كيف يمكن للعالم ان يتحسن لو فعلنا ذلك جميعاً. المرء يلاحظ هذه الأشياء ولا يدري ماذا يفعل بشأنها. جستين تعاكسني في كل ما افعل. الكل يأكل جيداً هنا في المركز - شيباً وشباناً. انا شخصياً اريد ان افعل شيئاً اكثر من الأكل. لكني لا اجد لدي القدرة وذلك لأنني لا اجد احداً يساعدني هنا وسيمضي وقت طويل قبل ان تصل الى هذه المرحلة. وبمناسبة الحديث عن ملوك الماشية انظري من هنا...

ولوحت سكوتي بيدها باتجاه اخيها الوسيم المشرق الذي كان شكله النابض بالحياة يقود ساري الى الجنون. ردت ساري نظرة بليك المتألقة الهادئة بنظرة تماثلها هدوءاً:

قالت له سكوتي باسمة:

- تصورت اننا لن نراك قبل مرور وقت طويل.

كان حب سكوتي لأخيها واضحاً لا شك فيه. بادلها بليك الابتسامة:

- تصورك في محله، لكن اعمالاً عاجلة تستدعي وجودي في بالكا داونز اتريدين ان تأتي معي؟

- طبعاً.

قالتها سكوتي وهي تعاود الجلوس بسرعة لارتداء ملابسها الحريرية الخاصة بالسباحة وتابعت:

- متى سنسافر؟

- خلال ساعة. وماذا عنك يا ساري؟ اعرف انك اخذت كفايتك

من الشمس.

تبادلا النظرات، ولم تبد ساري اية مقاومة عندما وضع بليك قبعة القش على رأسها. لم يكن في المقاومة ما يجدي. فكرت: (الكثير يعتمد الآن على طريقتي في التصرف).

- سأبقى هنا.

قالتها وهي تشعر كأن موجات كهربائية تسري في جسمها كله، فأشاحت بوجهها عن بليك محاولة عدم النظر في عينيه.

اجابها بعصبية:

- هذا ليس جواباً مقنعاً.

دافعت عنها سكوتي قائلة:

- لا تتشدد على الفتاة. (منذ كانت ساري صغيرة كانت هناك مشاحنات بينها وبين بليك).

- لا شيء يجبرها على الذهاب، لكني آتية.

حاصرت ساري نظرات بليك الحادة وهو يسألها:

- لماذا؟ انت عادة تزعجينني باصرارك على الذهاب.

- مارج لم تر سكوتي منذ زمن بعيد ومن المؤكد ان لديها الكثير من الكلام تتبادلانه. ثم اني كنت هناك منذ فترة وجيزة.

خطا بليك باتجاهها ورفع رأسها اليه محاولاً السيطرة على غليانه وهو يتطلع الى عينيها البنفسجيتين:

- انت تخدعينني يا ساري شأنك دائماً، ثم ماذا ستفعلين ان بقيت؟

حاولت التهرب:

- سأقوم ببعض الأشياء هنا وهناك.

فأحاط رقبتها بيديه:

- هناك تقرير عن ثيران السانتا جيرترودس معد للجمعية المحلية

الملكية ويحتاج للطباعة، فما رأيك في طباعته؟

تطايرت شرارات الغضب من عينيها:

- قل ارجوك على الأقل.

- سأقول ذلك عندما تتحسن اخلاقك.

ظهرت الدهشة على وجه سكوتي وتساءلت بحذر: هل نحن يا ترى على أعتاب نقاش حام؟

حاولت ساري السيطرة على نفسها قبل ان تقول:

- كنت دائماً كبش الفداء بالنسبة لأخيك.

اجابها ساخراً:

- انا لا اشعر بذلك. كفاك استطراداً في تخيلاتك.

- نعم يا بليك. . . لا يا بليك. . .

اجابها:

- هيا استمري. . .

لكن ابتسامته منعتها من الاستمرار. (بليك هذا آت من عصور سيطر فيها الرجل سيطرة كاملة. قد يغسلني في نواح عديدة، لكنه يتطلب احتراماً وخضوعاً، بالاضافة الى الطاعة العمياء). تأملت ساري بليك بكل قسوته ووسامته وغرقت في بحر عينيه المتعارضتين تماماً مع شعره الحالك السواد وبشرته النحاسية. ومرت لحظات شعرت فيها ان خوفها ظاهر وان وقت الانسحاب من هذه الورطة بضيق.

خجلت ساري، وازداد خجلها عندما تطلعت الى وجه سكوتي واحست بصراعها الداخلي النابع من كونهما شريكتين في خداع بليك. استمر بليك في تأمل ساري محاولاً قراءة افكارها، الشيء الذي ينجح في فعله دائماً وبدقة عجيبة تجعلها تقف عاجزة:

- كيف تريد التقرير؟ بمسافة مزدوجة؟

خافت سكوتي من انفجار الوضع فقالت:

- انا ذاهبة لارتداء ملابسي.

وفكرت: (بليك لن يسهل الأمور علينا حقاً). ثم تابعت ببراءة:

- أمتأكدة من انك لن تأتي معنا يا عزيزتي؟

- لا . . . العزيزة ستبقى هنا.

قال ذلك وكأنه يوقع قصاصاً بساري بينما بريق السخرية يغشي عينيه. نهضت ساري من مقعدها ونيران الغضب تحرق وجنتيها:

- يحسن بي ان اجمع ملابسي.

استدار ليعطيها ملابس السباحة الناعمة. وارتدت ملابسها وهي خافضة رأسها حتى لا يرى عينيها او وجهها. لم تصدق ان باستطاعتها ان تكون عصبية المزاج بهذا الشكل. وعندما رفعت رأسها اخيراً جابهها قائلاً:

- اشعر انك بصدد فعل شيء سيء.

- تناسى ذلك يا بليك لأني ذاهبة لعمل التقرير.

قالت سكوتي:

- كونوا اصدقاء. لا تكن قاسياً عليها الى هذه الدرجة.

فأمسكت بليك شقيقته:

- ابقي انت خارج الموضوع.

حاولت سكوتي الحصول على تأييد ساري وهي تقول:

- انا اعتبرك عظيماً في كل شيء. الم اقل ذلك منذ قليل يا ساري؟ ثم ما بالك لا تستطيع ان تتحمل نكتة يا بليك؟

- عندما يتعلق الموضوع بساري لا استطيع تحمل اي نكتة.

- هذا ليس بجديد.

قالت ساري ذلك بشفاه مرتجفة وكأنها طفلة تتألم.

ثارت سكوتي فتركها بليك بعد ان ضاق بصحبة النساء:

ـ لا تهاجماني بحق السماء. وعندما تكون السيارة جاهزة استدعيني يا سكوتي. انا واثق من ان هناك الكثير من الأخبار التي تستطيعين نقلها لمارج، وحديث ساري مثير دائماً.

تحدته ساري:

ـ وكيف تعرف ان حديثنا ليس عنك؟

اجابها:

ـ لانك لا لاتعرفيني جيداً.

فسألته:

ـ ماذا تعني بذلك؟

لكنه كان قد اختفى عن الأنظار بخطواته الكبيرة الواثقة.

قالت سكوتي:

ـ بليك انسان جذاب.

ـ لكنه سيبقى لغزاً بالنسبة لي.

تأملتها سكوتي بنظرة غامضة جعلتها اقرب الى اخيها قبل ان تقول:

ـ اتساءل هل صحيح انك عازمة على المضي فيما تفكرين به؟

ترددت ساري:

ـ في الحقيقة كرهت الفكرة للحظات.

فسألتها سكوتي:

ـ هل تستحق التجربة كل هذه المغامرة؟

ـ اعتقد ذلك لأن فيها انتصاراً على بليك.

وركزت سكوتي انظارها على وجه ساري المتمرد الصغير:

ـ الانتصار على بليك!! لكنني تصورت ان ما تفعلينه هو من اجل بيتر الذي تحبين!

فترددت ساري:

ـ في هذه اللحظة لا يهمني اي شيء. ثم هل يتوقع بليك مني التقوقع في الزاوية؟

ـ لا يسعني الا ان اذكرك انك زرت معه انحاء العالم منذ تركت المدرسة.

ـ لكني الآن في بيتي الذي يشعرني بليك انه فخ.

تمتمت سكوتي:

ـ قد تحتاجين الخلاص من هذا كله لكنك الآن تتذمرين فقط. انا لا انكر ان بليك نادر القوة وخاصة عندما يمارس ضغطه.

تنهدت ساري قائلة:

ـ انت على حق.

كانت سكوتي تتلقى المعلومات محاولة ان تعدل بين ساري التي تحب، واخيها العظيم الذي تحترم. لم توضع في مثل هذا الموقف من قبل. كانت دائماً تشترك مع بليك في ممازحة ساري وملاطفتها للقضاء على نزواتها الصغيرة، لكنها تشعر الآن أن لدى ساري وجهة نظر معينة، وان الوقت قد حان لمؤازرتها:

ـ اذا كنت تعتقدين ان في ذلك سعادتك فسأستر هربك، رغم معرفتي بالصعوبات التي سأواجهها من بليك عند اكتشافه لذلك.

قالت ساري باندفاع:

ـ يا الهي! انت رائعة، لكن لا تكذبي عليه وتلطخي سجل صدقك. لا حاجة بك الى قول شيء ابداً. قد يكون ذلك اشد تأثيراً.

- سيعتقد شون الحبيب اني حامل.
- اعتقد ان ذلك سيحصل من قريب.
- عند هذا الحد اعتقد يا ساري اننا يجب ان نذهب الى الداخل، لانك لا تعرفين ما تتكلمين به.
- شون يحبك وانت محظوظة به كزوج.

ابتسمت سكوتي ابتسامة مشرقة وهي تقول:
- اعتقد ذلك، افعلي ما تشائين، وسأحاول ان ابدو متعجبة كما يتوقع بليك.

قالت ساري بحماس:
- في الحقيقة كل شيء يسير بانتظام، وهو نوع من الحب الممزوج بالحرب.

فكرت سكوتي: (ان ما تتمنى ساري حدوثه لم يكن لتسعى اليه ابداً، لولا الحرب الباردة بينها وبين بليك. لو انه سمح لها بالذهاب الى اوليد، لكان قد خفف من عدائها له). وحاولت سكوتي تهدئة الثورة في داخلها دون جدوى: (كان بليك حكيماً في كل افعاله، لكن يظهر ان جستين بالغت في اظهار الاخطاء عند دراستها لموضوع بيتر، فأثقلت تقريرها عنه بالسلبيات).

وصلت الفتاتان الى الداخل، وفكرت سكوتي: (الهدوء والسكينة يخيمان، لكن بذهاب ساري سيتغير كل شيء حتماً. لاحظ لها بالنجاح. لقد زرت الكثير من بلاد العالم واجتمعت بالكثير من الناس، لكنني لم اجتمع بمن يشبه اخي. قد تهرب ساري لفترة وجيزة لن تطول).

مضت ثلاثة ايام دون ان تسمع ساري كلمة من احد. توقعت ذلك لكنها بقيت تأمل في مجيء بليك مع كل زائر لعائلة شلتون، حتى

جستين لم تكلمها هاتفياً. كانت خائفة منذ اللحظة التي ركبت فيها عربة جيك اوسلو، بعد مجموعة من الأكاذيب ظهرت صادقة في وقتها، لأن جيك لم يكن على علم بحقيقة الوضع. ولأنه كان صديق بليك، فقد وضعته ساري في موقف حرج. ولكنه كان من الرجال الذين ينسون التساؤل اذا وقف امام عيون كحلاء حيلة وقصة مقبولة. لذلك لم يخطر له على بال انها كانت تكذب مخالفة بذلك مشاريع بليك. كانت قد انهت طبع التزوير في اقل من ساعة وتركته على مكتب بليك ومعه رسالة وداع منها. راحت تتخيل ردة فعله العنيفة عليها. لكن ذلك لا يهم الآن: (لا احد يهتم بي. وموقف كهذا كان يجب ان يسرني، لكنني احس بأنني انسانة مهملة لا قيمة لها. لا اعرف ماذا دهاني هذه الأيام. طبعاً سكوتي لن تتصل بي لأنها شريكتي في المؤامرة. لم تجر الأمور كما تمنيت).

كانت ساري تحاول اسعاد نفسها. بقيت تتوقع الاحتراق بنار غضب بليك في اية لحظة. اما عائلة شلتون فكانت رائعة معها والجميع يبذلون اقصى جهودهم لاسعادها. لكنه كان من الواضح انهم اتخذوها وسيلة لتحقيق غاياتهم الخاصة، ففاجأتهم بتصرفات متزنة مليئة بالقوة، ابعدت عنها خطر الضياع في دنيا عواطف بيتر الذي استغربت شخصياً كيف يمكنها حتى ان تفكر بحبه: (لا شك انه جذاب، مهتم بي، وفي هذا مجال لزيادة ثقتي بنفسي. لكن لا وجود للاثارة معه، لو ان لدي الشجاعة الكافية لزرت جستين التي تشبه بليك في طباعها). لكن مرور الأيام الثلاثة اشعرت ساري بعزلة فظيعة زعزعت ثقتها بنفسها: (انا لم اعرف نفسي يوماً كما اعرفها الآن، واخجل من الاعتراف بذلك). تأملت نفسها في المرآة طويلاً قبل ان تلبس وتنضم الى الحفل الذي حوى ما يقرب من

اربعين شخصاً.

كانت ليا تطلق عليهم ساخرة لقب العائلة الملكية. لكن ذلك لا يمنع انها كانت تحترم بليك. اما بليك فقد تجاهلها لأنها صغيرة، وهو كما كان يقول لساري ليس جاداً في علاقاته مع الفتيات الصغيرات، وليس هناك من يستطيع اجباره على تغيير ذلك.

سمعت ساري قرعاً على الباب دخلت بعده ليا الغرفة متسائلة:

- الم تنتهي من ارتداء ملابسك بعد؟

- لقد اكتملت زينتي وانا على وشك الانتهاء.

- الاحظ ذلك. يا الهي كم انت جميلة، ولا غرابة في ان بيتر يشعر بالحب لأول مرة في حياته.

اجابت ساري بلا مبالاة:

- اراهن ان بيتر سيقع في الحب مرات عديدة قبل ان يبلغ الأربعين.

- اظن ذلك، لكنك انت التي يريد الزواج منها.

ازاحت ساري خصلة شعر حريرية من على وجهها، واستمرت تحدق في المرآة تاركة امواج الشوق لمالبارا تتلاعب بها. وقفت ليا خلف ساري بقميصها اللهبي وتنورتها الحريرية، والحلي الذهبية تزين معصمها واصابعها، واخذت تتأمل صديقتها قبل ان تقول:

- انت احلى حادث في حياتنا يا ساري. حتى امي التي لم تعتقد في يوم من الأيام ان هناك من الفتيات من تستحق بيتر تؤكد انك اختيار موفق. ثم انه لا يمكنك انكار انني كنت في الفترة الماضية مشرقة ممتازة، اللهم الا بعد ظهر اليوم حيث لم استطع ان ابقى معكما. انا أؤمن ان بيتر يحبك، ورغم انه كان في الماضي زيراً للنساء، الا انه الآن معك على استعداد للاستقرار.

تجهم وجه ساري:

- هذا يزيد الأمر صعوبة لأني غير مستعدة للاستقرار.

- اعتقد ان فكرة الاستقرار تخيفك، وهذا شيء طبيعي.

- انا صرفت النظر عن الزواج نهائياً، وتعرفين تماماً اني في بعض الأحيان لا اعرف ما اريد.

اصرت ليا:

- بامكانك العيش بسعادة مع بيتر. ثم اني لا استطيع التفكير بغيرك زوجة لأخي.

اجابت ساري:

- كل ذلك لا يشجعني على التفكير بالزواج من بيتر، لأني اعتقد ان هذا الزواج هو بمثابة خطوة كبيرة. اليس كذلك؟ بيتر انسان جذاب، واعرف انه معجب بي، الا انه لم يصارحني بالموضوع حتى الآن.

نهضت ليا وكأنها على استعداد لتسوية الأمور:

- هل هذا هو ما يزعجك؟ يا صغيرتي العزيزة، انا افهمك طبعاً.

امسكت ساري نفسها عن الضحك قبل ان تقول:

- على رسلك يا ليا، انت لا تفهمين شيئاً. انا لن اتزوج احداً. اريد ان انال بعض المتعة اولاً.

ردت ليا بحماس:

- البسي ثيابك واتبعيني الى الطابق السفلي.

كانت ليا مخلصة في امنيتها بأن تنضم رفيقة الدراسة الى العائلة بعد كل الفتيات الجميلات المضجرات اللواتي خرجن برفقة بيتر طوال السنوات الماضية: (ساري مرحة وجذابة، بالاضافة الى كونها جميلة بحيويتها وتقاطيع وجهها وجسمها، وساكون سعيدة حقاً لو

قبلت بيتر زوجاً لها. ربما كانت امي محقة في توقيتها، وفي دفع ساري بقوة وسرعة نحو هذا الزواج، فهي تلح على الاسراع في اتمام الخطوبة على الاقل، الا اني اشعر بأن فكرتها غير مقبولة في الوقت الحاضر، لأن ساري تكره الضغط وامي ليست مطلعة على الوضع بكامله. ثم لأنها لا تعرف بليك ميريديث. لقد سمعت عنه الكثير، وقابلت شقيقته جستين في مناسبات عديدة. لكنها لم تتعرف على بليك، وتعرفها عليه سيوضح لها اشياء كثيرة. اما انا فلم استطع نسيانه ولا ليوم واحد منذ قابلته في ماليارا قبل شهور عدة. بليك هو الأساس في الموضوع كله لأنه المسيطر على كل شيء، وهو المسؤول عن ساري في السراء والضراء، سواء شاءت ذلك ام ابت. لأنه من اولئك الرجال الذين يشعرون من حولهم من بني جنسهم بالتفاهة. وهذا في الحقيقة ما يجعلني مشتاقة لرؤيته، لأني قد استطيع ان اؤثر فيه تأثيراً اكبر هذه المرة. لقد اسرعت في تقييمه في المرة الأخيرة، لكني في الحقيقة لم اتوقع وجود مثل هذه الشخصية في تلك المناطق النائية. ابكاني اجتماعنا الأخير كثيراً، لأن بليك كان محيياً لآمالي بسخريته المريرة من النساء. بينما كنت اتمنى الحصول على حبه. هو في الثالثة والثلاثين وربما الرابعة والثلاثين من عمره، ناجح في عمله، واضح الأصالة والجاذبية).

تفكير ليا في بليك ترك الحماس يتلاعب بها مما حير ساري ودفعها الى سؤالها:

ـ ما بك؟ يبدو ان الحماس مسيطر عليك!

ـ كنت افكر بقريبك بليك.

استغربت ساري:

ـ يا لها من قفزة مضحكة... من موضوع بيتر... الى موضوع بليك.

ضحكت ليا وقالت دون ارتباك:

ـ فعلاً.

لاحظت ساري تسارع انفاس ليا، وتذكرت اعجابها القديم بشخصه. فكرت: (يظهر ان حماسها لم يفتر بعد).

قالت بعدها بهدوء واتزان:

ـ ابتعدي عن بليك يا ليا، انه شيطاني النزعات.

ـ ذلك يغريني يا ساري. انا احبه فعلاً ولا تهمني المضاعفات.

ـ كما قلت لك من قبل يا ليا، حب بليك مؤلم.

ـ كيف تعرفين ذلك؟ انت لست سوى قريبته!

رجعت ساري برأسها الى الوراء وتأملت فستانها الأزرق مع عقد فريد من الزبرجد ذي ازهار ناتئة زيّن عنقها. وتتوافق مع اقراط من نفس الطراز: (لا يمكن ان اخبر ليا بأن العقد والأقراط هدية من بليك، لأن ذلك قد يعني اشياء كثيرة. العقد مع غيره من المجوهرات ملك للعائلة. ناسبني اكثر من اخواته فلون الزبرجد هذا يضفي الحياة على تقاطيع وجهي).

قالت ليا بشرود:

ـ عظيم.

ويظهر انها كانت تفكر في بليك وعينيه القويتين اللامعتين.

تذكرت ساري كل شيء عن بليك: (ان له تأثيراً كبيراً علي. انه ليس مسلياً مثل بيتر، لكنه ذو جاذبية يفتقدها بيتر. بليك يوحي بالقوة قلباً وقالباً، وسيم، ارستقراطي الميول ودمث).

سرت قشعريرة في جسد ليا وهي ترمي بخصلة من شعرها الأشقر الى الوراء: (يمكنني متابعة موضوع بليك الى ما لا نهاية، وسأحصل

على دعوة الى ماليلارا قبل نهاية هذا الاسبوع. انا من عائلة شلتون، والحصول على مركز اجتماعي مرموق هو شغلي الشاغل، ويجب ان اصل الى هدفي عبر الطريق الصحيح).

وفي وسط الغرفة المفروشة بأثاث داكن ظهرت ساري بكامل اشراقتها. كان هناك ما يميزها الى جانب جمالها. وتصورت ليا ان ذلك يعود الى كونها من عائلة ميريديث. لقد لاحظت ليا الكثير من التغيرات في صديقتها. فقد اصبحت اكثر نضوجاً ولطيفة لكن دون اندفاع. كما انها اضحت اكثر ارتياحاً وتماسكاً.

- ان ما يحيرني هو علاقة ساري بقريبها بليك. لم يظهر عليها يوماً انها تحبه، بالعكس تماماً. اوامر بليك طالما فجرت غضب ساري مما اعطاني فكرة خاطئة عنه. عندما قابلته لأول مرة حبست انفاسي متوقعة شخصاً متجهم الوجه رهيباً. لكني قابلت رجلاً جذاباً ومثالاً حياً للكبرياء. صحيح ان ساري لا تهتم به، الا انه مهتم بها لأنها فرد من افراد العائلة، وهو يعتز بعائلته. اما موضوع ام ساري فهو موضوع لم تناقشه معي ابداً. ويظهر انها ماتت لأنها كانت امرأة تعشق الاخطار. لكن الشيء الذي اعرفه هو انها هربت مع اميركي، وان اباها قد قتل في احدى الحروب الكثيرة التي شهدتها تلك المنطقة وكان قريباً لبليك. لذلك انشأت عائلة ميريديث ساري رغم معارضتها، ولأن بليك انسان صاحب سيادة، فلم يربح من ساري الا العداء. كنت كثيراً ما اسأل ساري:

- ما الذي يعجب بليك؟

وكان الجواب دائماً:

- انه طاغية. على كل حال لا تأبهي لكلامي.

لكن يظهر ان السبب الرئيسي وراء عداء ساري لبليك هو انه

يريد اظهار الجانب الأفضل فيها وهي التي بامكانها سلب قلوب الرجال).

وارعب الفتاتين صوت حلو ملء بالرجولة اتى من الباب المفتوح خلفهما:

- اتعرفان؟

واستدارت ساري لمواجهة بيتر بعينين زرقاوين ساحرتين:

- ماذا؟ قل لنا يا بيتر.

والحت ليا:

- ماذا؟ قل:

ثم تأملته: (بيتر مثل امي، جذاب، انيق، متحدث لبق، وواثق من نفسه، لكن هذا وحده لا يكفي).

قال بيتر وهو يتأمل فستان ساري الغالي الثمن:

- قلت ان عندي اخباراً، وها انا هنا لأنقلها اليكما، ستأتي عائلة رشموند الى الحفل الليلة.

قالت ليا وهي تتأمل نفسها في المرآة:

- يا الهي!

كان بيتر يفضل تأمل ساري وقد انعكس الضوء على شعرها وعينيها اللتين فضحتا رعبها وهي تسأله:

- جستين وكلايف؟

انفجر بيتر ضاحكاً قبل ان يقول:

- امي سعيدة بضربتها القاضية.

- عائلة رشموند لم تأت الى هنا من قبل، اليس قدومهم غريباً؟

اجاب بيتر:

ـ هذا لأن ساري لم تمكث بيننا اكثر من ساعة او ساعتين من قبل. اليس هذا رائعاً؟

سألت ساري:

ـ هل وصلوا؟

ـ ليس بعد. لكن امي ارسلتني لاخبارك مقدماً، وتصورت ان مثل هذا الخبر قد يسعدك يا عزيزتي. ثم ان امي تحب ان تجمع بعض الناس المهمين. وعائلة رشموند تعتبر من هذا النوع في البلدة.

دارت ليا حول نفسها في الغرفة قبل ان تقول ضاحكة:

ـ هذا رائع. سيكون حفلنا كبيراً رائعاً. هل من المعقول ان نكون قد حصلنا على التنازل من عائلة ميريديث؟ وعا سيأتون لتفحصنا؟

وتنهدت مرتعشة.

حاولت ساري ان تتمالك نفسها لأن عيني ليا الحادتين كانتا تراقبانها. كانت تدرك انها جميلة، طبيعية، ورشيقة لكن نيران الغضب في داخلها كانت قد بدأت تستعر: (جستين لم تأت الى هنا تنازلاً منها لأحد، وانما لتفعل ما امرها به بليك. بامكاني ان اصرخ مثل اي امرأة وقحة مستهترة لكن ما الفائدة؟ جستين ارستقراطية الطباع، وسيحسدني الناس حتماً على اي قريبتها. لذلك من الضروري ان العب اللعبة نفسها لأن عائلة ميريديث تهتم بمظاهر الوحدة العائلية حتى ولو كانت سهماً يمزق اوصال افرادها في الواقع. لا شك ان بليك هو الذي طلب من جستين الحضور في حفل الليلة انها طريقة للسيطرة من بعيد، لكن مشاعري لا تهم الآن ويجب ان اتصرف بهدوء وصمت).

كان الحفل قد قطع شوطاً لا بأس به عندما وصل آل رشموند. لم تكن ساري اثناء ذلك تراقب الممر بل كانت مع مجموعة من الناس.

وحست بالجو المشحون حولها. فجأة اختفت الضحكات وتقطع الحديث وكأن كل شيء اصبح مملاً. وتنادى اهل الحفل للتجمع في باقة واحدة. في تلك اللحظة كانت بياتريس شلتون، السيدة الانيقة، الناعمة، الممتلئة بالحيوية، تستمع الى رواية للديلة وعدت بعدم البوح بها، حين وجدت نفسها وجهاً لوجه مع رجل وامرأة باستطاعتهما فرض احترامهما على اكثر الناس ثرثرة. المرأة كانت جستين رشموند، زوجة الرجل الذي يقول بعضهم انه سيصبح رئيساً للوزراء قريباً. كانت جستين سمراء ذات جمال كلاسيكي يمكنها ان تترك ابلغ الاثر اينما ذهبت والى جانبها وقف اخوها بليك ميريديث.

كانت سعادة السيدة شلتون لا توصف عندما خطت الى الأمام لتصافح السيدة رشموند وقد اسعدها التعرف اليها والى شقيقها الذي اتى بشكل مفاجىء. لكن المرأتين احستا ان حضور بليك مرحب به. اما كلايف رشموند فقد كان رجلاً بارزاً، اكبر من زوجته بما يقارب اثني عشر عاماً. لم يكن وسيماً بالمعنى الصحيح، لكنه كان طويلاً، قوي البنية، ذا عينين جميلتين، وذقن بارز وصوت رخيم. كان رجلاً ذا سطوة يمكن الاعتماد عليه.

ورغم ان كلايف كان شديد التأثير لكنه لم يكن شيئاً يذكر اذا ما قورن بشقيق زوجته. لم تر السيدة شلتون يوماً احداً يشبه ملك المطبخ هذا. كان صورة مصغرة للشاب الوقور، وهو يرتفع الى مستوى طموحاتها كأم تريد صالح ابنتها. وليا كانت في مكان ما بالقرب منها، لذلك ستعمل جاهدة لاسعادها. فكرت السيدة شلتون: (ساري فتاة متقلبة ووقحة وبدل ان تحصل على شخص فاس متسلط يشرف عليها، حظيت ببليك. كيف يمكنها ان تتلاعب

بهم الى هذه الدرجة؟ بليك ميريديث شاب دمث الأخلاق، وها هو الآن يتأملني بعينين لامعتين كأشعة الشمس على صفحة الماء. لكن لا يمكنني معرفة ما يدور من افكار وراء هذه الرموش الداكنة. حضوره قوي ويسعدني، واي امرأة مثلي قد تحاول جلب نجوم السماء لرجل كهذا. لقد اهملت ليا طوال هذه الفترة بسبب بيتر، لكن الآن بامكاني اصطياد عصفورين بحجر واحد. ما اسعد حظي!).

ان الثمن ما تعلمته ساري من اقاربها، هو ان تحارب لتصل الى ما تريده وعلى كل حال لم يكن لديها من يمكن ان تلجأ اليه، لذلك بدأت بتهدئة مخاوفها وراحت تتأمل ابتسامة بليك الرائعة وهي تستعد للهجوم.

نادت بصوت حلو:

- اهلاً جستين.

وخطت نحوها بكل اشراقتها وجمالها، وجاذبيتها، بينما كانت نظرات جستين تسخر من هذا الادعاء المدروس، لكنها ردت بنعومة:

- اهلاً ساري.

وطبعت قبلة على خدها.

- مرحباً كلايف.

ابتسم كلايف واقترب يقبل يد ساري قائلاً:

- ما اجملك... لقد اشتقنا لوجودك بيننا.

بعدها تطلعت ساري الى بليك، وراحت تتأمل تقاطيعه القاسية، المتعجرفة، الواضحة الكمال، قبل ان تقول:

- مرحباً بليك.

كان بودها ان تضيف: (ما اجمل ان اراك هنا).

لكنها لم تجد الجرأة الكافية لذلك. كان يتأملها بشكل يجمد الابتسامة على شفتيها، ودفعها الى اعطائه خدها ليقبله: (صحيح انني لم اكن اعرف متى سيأتي، لكن جرأتي بلغت اقصاها عندما هربت).

احست جستين بطلب الحماية الصامت القادم من ساري، فتأبطت ذراع قريبتها وراحت تحاول التعرف الى الموجودين جميعاً، بينما كانت ليا تحاول الحصول على دعوة الى ماليارا.

على الرغم من ان ساري كانت لا تزال طرية العود الا ان الجميع كانوا يعتمدون عليها في تنظيم احتفالات المزاد السنوية. لذلك ابدى بليك وجستين اسفهما لأنهما مضطران للعودة بها الى البيت وحرمانها من متعتها، لأن مبيعات المزاد مهمة لهم جميعاً، وهناك الكثير من العمل بانتظارهم، ولن تستطيع جستين مساعدتهم بسبب انشغالها مع زوجها. اما جيل فقد كانت في اوربا وستيفاني وزوجها يعتبران من المشترين، هذا ما عدا العمة اليا التي قاربت الثمانين. لذلك كله كان لا بد من ذهاب ساري.

كانوا مقتنعين في اعذارهم حتى ان ساري كادت تصدقهم، لولا تذكرها بان العمة اليا اقوى منها بنية رغم بلوغها الثمانين، وجستين لا يمكنها ان تترك المزاد مهما كانت الظروف. احس كلايف وساري باللعبة. لكن عائلة شلتون لم تشك لحظة في صدق ما يقال، اللهم ما عدا بيتر الذي اندفع فجأة يريد مراقصة ساري.

كان لا بد من مسايرة التيار، لذلك سمحت ساري لبيتر بقيادتها الى الشرفة الواسعة حيث قال لها:

- ساري... هل تتزوجينني؟

ادهشها طلبه:

- لا يمكن ان تكون جاداً!
فرد عليها مؤكداً:
- بل انا جاد تماماً.
نظرت حولها بقلق قبل ان تقول:
- لكن . . . الا ترعبك فكرة الزواج يا بيتر؟
هز رأسه نافياً:
- الزواج شر لا بد منه . . . فلماذا لا اتزوج الآن؟
قالت ساخرة:
- شكراً لك . . . يا له من عرض مغرٍ!
احاط وسطها بذراعيه قائلاً:
- عندي الكثير لأقوله لكن عندما اكون وحدي معك.
- في هذا بعض الراحة.
سأل بيتر قلقاً:
- اتسخرين مني؟
- لا يا بيتر . . . انت راقص بارع!
- انا افضلهم . . . لكن هذا لا يجيب على سؤالي . . . اتقبلينني زوجاً ام لا؟
- لا. اعتقد ان باستطاعتنا تأجيل الحديث حتى نعرف بعضنا اكثر . . . اليس كذلك؟
فكر بيتر آسفاً: (الاستعجال في البت بالأمر من اقتراح امي . . . واذا استمر الحال هكذا، فأخسر ساري. لديّ الكثير من الصفات الحميدة، لذلك لا خوف من الانتظار قليلاً).
انا متفهم للوضع يا عزيزتي.
وقبل يدها مكملاً: لقد استعجلتك، وهذا امر لا يغتفر.

ابتسمت قائلة:
- معك حق. عرضك يزيد ثقتي بنفسي، لكنه لا يسعدني، وقد قررت الزواج عندما اكون في الخامسة والعشرين.
رد بيتر:
- لا اعتقد ان الظروف ستمهلك حتى ذلك الوقت.
- سترى . . . لأني في الحقيقة لا اريد لأولادي التشرد فأنا اعرف طعمه. ثم ان معدل الطلاق في ارتفاع مستمر.
قال ساخراً وهو يتطلع الى جستين التي راحت تراقبهما من بعيد:
- لكنك الآن ذات مركز ثابت.
اجابته:
- لا بأس.
- السيدة رشموند تلفت الانظار، لكنها طويلة بعض الشيء.
- قوامها رائع . . . انا احبها كثيراً.
- انها تشبه اخاها كثيراً.
- اذا نظرت اليهما قد تلاحظ تشابهاً. صحيح ان جستين هي الأخت الكبرى، لكن بليك هو الأمر الناهي.
ضاقت عينا بيتر:
- تحاول ليا جاهدة الحصول من بليك على دعوة الى ماليارا. انها تحب المنطقة. لم تستلطف ساري لأنها لم ترغب برؤية بليك يراقص ليا.
لكنها قالت:
- اهلاً بها وبك دائماً يا بيتر . . . اتحب حضور البيع السنوي؟ ستقضي وقتاً ممتعاً. يمكنك اعتبارها مناسبة اجتماعية. هل تعرف كيف تلعب لعبة البولو؟
- كلا.

قالها وهو يدفن وجهه في خصلات شعرها الناعمة.

ـ بليك متميز في اللعبة. ولدينا فريقان ممتازان.

ـ انا متأكد من هذا. اتعتقدين فعلاً انه لا بأس بذهابنا؟

ـ طبعاً... باستطاعتي دعوة من أشاء. لأن العمل الكثير من واجبات الادارة.

ـ سمعت بذلك. كيف يستطيع الانسان الوصول الى هناك؟

ـ بالطيران طبعاً.

سخر منها:

ـ لكن ليست لدي اجنحة.

ـ سأطلب من بليك ان يبعث احداً ليأتي بكما.

ـ وهل سيفعل؟

ـ طبعاً.

ـ ما احسن حظك!

قالها بيتر بطريقة دفعت ساري الى التفكير ثم قالت:

ـ انا محظوظة في مجالات عديدة... بليك انسان سخي، معطاء كالعائلة كلها... ويجب ان تتعرف على العم هادو ايضاً... انه شخصية فريدة.

ـ اتصور ذلك بعد ان عرفتهم جميعاً. لكن كان يجب عليك تحذيرنا من ملك الماشية.

تساءلت ساري:

ـ ما الذي تعنيه؟

فحاول ان يفسر بلطف قائلاً:

ـ في الحقيقة كنت اتوقع مقابلة راعي بقر ابله مغروراً بدل الأمير الذي قابلته.

حاولت ساري السيطرة على غضبها قبل ان تقول بقسوة:

ـ معلوماتك خاطئة! انا لا اعرف اي راعي بقر ابله، لأن رعاة البقر حيث اعيش اذكياء قادرون، وخاصة بليك اللذي يفرض وجوده اينما حل.

حاول تهدئتها:

ـ مهلاً... لا شك انك متعصبة لعائلتك وهذا شيء جيد. لكني كنت امزح.

ـ ليست لي عائلة... حتى بليك قريبي من بعيد.

قبّل بيتر وجنتها قائلاً:

ـ سامحيني عزيزتي... كانت نكتة سخيفة. ربما لأني اغار منه.

ـ انا لا استغرب اذا كنت فعلاً كذلك.

حاول بيتر انقاذ الموقف:

ـ هل تريدين شراباً بارداً؟ امسيتنا حارة!

ـ نعم، اذا كان ذلك بالامكان. شكراً جزيلاً.

وتركها قائلاً:

ـ ابقي هنا.

وفكر بيتر: (ساري فتاة معقدة، ويظهر انه يصعب عليها التأقلم مع الزواج. لكنها جميلة كالحلم، واتمنى من كل قلبي ان تصبح اماً لأطفالي. انها تدعي ان عائلة ميريديث ليست عائلتها الحقيقية، لكنهم يصرون على كونهم كذلك. وذلك يعطيني فرصاً ممتازة).

تأملت ساري بيتر وهو يختفي بين الجموع: (لقد ازعجني بكلامه عن رعاة البقر البلهاء، لكن ما الذي حصل لي؟ لماذا انا مهتمة كل هذا الاهتمام؟ لطالما اسماني بليك «الشريرة» الضالة، لكن هل هذا صحيح؟ في يوم من الأيام اعتقدت اني استطيع ان اعيش سعيدة مع

يثير، لكن اهتمامه الآن يزعجني. لم يكن من الحكمة دعوته الى ماليلزا لأن بليك قد يطرده. لقد بدأ التفكير في بليك يسيطر علي. احس بوجوده خلفي دون ان التفت وكان الهالة التي تحيطه تسبق للاعلان عن وجوده. انه انسان ذكي، قوي، مثير ومعقد في نفس الوقت. واذا لم اصل الى قلبه في اقرب فرصة فسأجن. اشعر انني طفلة صغيرة في المدرسة تنتظر استدعاء الادارة).

رأت ساري بليك قادماً باتجاهها بكامل اناقته: (انه في الحقيقة انيق في كل ما يلبس حتى ولو كان قميصاً بسيطاً وبنطالاً قديماً مع قبعة تخفي عينيه لتظهر لونه النحاسي المغطى بالرمال).

تسارع وجيب قلبها كان مواجهة مؤلمة على وشك الحدوث. لم يعد للشجاعة وقدرة السيطرة على النفس اي اثر، لانها بوجود بليك تحتاج الى سند... وحتى كانت مشغولة مع صاحبة الحفل، قفزت واقفة، وتسمرت في مكانها لحظات قبل ان تهرب كقطة خائفة عبر ممر عشبي بفستانها الرائع وحذائها ذي الكعب العالي. شعرت بنشوة وكأن يداً قوية امسكت بكتفها، لكنها لم تسمع وقع اقدام خلفها، فتخلصت من حذائها، وراحت تعدو بسرعة وكأنها حورية: (لا شك انه منتصف الليل، لان النجوم براقة والحفل في ذروته. من السخف ان اخلع حذائي لأني لو عدت الآن فلن اجده. القمر يضيء الحديقة ويداعب أوراق الشجر بنوره...)

فجأة ارعبها وجود بليك امامها:

- يا صغيرتي المسكينة.

كانت ترتجف بينما انغام الحفل وعطور الليل الزكية تتسرب الى خفاياها.

اعترفت:

- انا مخطئة.

وسمعته يقول بهدوء:

- التقطي انفاسك.

شعرت ساري بالعجز، خاصة انها كانت حافية لكنه احاط كتفيها بذراعيه وواجهها متسائلاً:

- لماذا هربت؟ كان هربك سخيفاً.

- لست متأكدة.

واحست من جديد بقوته، طول قامته، سيطرته على الموقف وحتى بقبضته الفولاذية.

- ما اغباك، الا يمكنك تعلم الدرس من المرة الأولى؟

عادت انفاسها الى الانتظام وهي تقول محاولة التخلص من مواجهته:

هيا يا بليك... كلنا سنموت عاجلاً او آجلاً.

- انت تبالغين.

واحست بقبضته تتراخى بشكل دفعها في الجماعة. سألته:

- انت غاضب، اليس كذلك؟

- وهل ابدو غاضباً؟

- لا استطيع ان ارى وجهك في الظل.

- لكني استطيع ان اراك... تبدين رائعة يا ساري. الحسناء والوحش كما يحلو لك ان تصفينا.

- نعم يحلو لي ذلك.

- بليك وحش، لكنه ليس وحشاً لئيماً ابداً.

اسندها بقبضته قائلاً:

- حسناً . . . انتعلي حذاءك.
فسألته بصوت مرتجف ناعم.
- لكن اين هو؟
- ها هو.

واعطاها اياه بأدب.
قالت بصدق:
- لم اقصد ان اضيعه.
- اعرف ذلك. . . هو حذاء سندريلا اليس كذلك؟ انت رفيعة الذوق يا ساري.
- انا على استعداد للذهاب معك الى البيت.
- هل نبتت لك اجنحة؟
البسها فردة حذائها بعد ان وجدت صعوبة في ذلك، فوقفت بثبات:
- هو ليس مثل غيره من الرجال وانا بين يديه لعبة.
- لماذا اقحمت سكرتي وجيك في القضية، وانت تعرفين انه لا يمكنها العمل ضدي؟
- كانت فكرة حلوة في ذلك الوقت. ثم انه لم يكن لدي مجال للاختيار. لم اكن اريد توريطها في القضية صدقني. . . لكن كل ذلك لا يهم الآن.
- لا . . . اكملي. . . احكي لي كل شيء.
همست:
- وهل ستفهمني؟
تأمل تقاطيع وجهها قبل ان يقول:
- انت يا ساري لا تحترفين بحساسيتي كالعادة.

غضت بصرها قائلة:
- لكني اعرف خصالك الحلوة يا بليك.
فقاطعها قائلاً:
- كفاك تمثيلاً! الم تكن الرحلة على مستوى توقعاتك؟
- كانت رائعة!
- اذن لماذا تبدين بائسة؟
اعترفت:
- اعتقد اني ابدو بائسة. . . غريب كم باستطاعتك ان تخيفني.
استغرب:
- يا له من اعتراف، مع اني لم اعامل احداً بهذه الرقة طوال حياتي.
حدقت في وجهه طويلاً:
- اعرف اني ارتكبت خطأ. . .
وفكرت: (غريب تفاعلي القوي هذا مع عواطفه).
- في هذه الحال سأسامحك. . . والآن يستحسن بنا العودة الى جستين لاني يجب ان اكون في ماليارا بعد ظهر الغد. لقد اضعت ما فيه الكفاية من الوقت.
تمسكت بذراعه قائلة:
- هناك شيء آخر.
فاستدار نحوها بكل كبريائه متسائلاً:
- ماذا هناك؟
- ما سأقوله فيه جرأة!
صرخ:
- بحق السماء. . . ماذا هناك؟

- دعوت بيتر وليا للقدوم الى ماليارا وحضور المبايعات لأني احسست ان ليا ترغب في الحضور.

اعقب كلامها صمت عرفت ان سببه عائد لكونها تجاوزت كل الحدود في طلباتها من بليك.

حاولت ان تسترضيه قائلة:

- اعتقد ان اعمل بجد وحتى درجة الانهيار، لكن اعتبرها مجرد دعوة.

قال لها دون انفعال:

- حسناً...

فاستمرت يائسة:

- لم احتج الى التوسل من قبل!

- ولست بحاجة الى التوسل الآن!

- صحيح؟

- انا الى جانبك دائماً.. وسأبقى كذلك ابداً... اخبري اصدقاءك بترحيبي بالزيارة...

وأظن ان ذلك هو المتوقع مني.

قالت برقة:

- انت رجل عظيم.

- احبذ الدوافع التي دفعتك لقول ذلك.

- عائلة شلتون لا دخل لها بالدوافع على اية حال.

ثم امسكت بذراعه ولامست بوجنتها كم سترته المخملية.

- قد لا يجوز ان اقول ما اريد قوله.

اجابها:

- قولي ما تريدين.

- احبك... واعرف ان بامكاني الاعتماد عليك... فأنت موجود حين احتاجك.

- باستطاعتك ان تسمي هذا حباً... هيا بنا يا عزيزتي... اشعر بشوق الى فنجان قهوة.

٣ - لا اريد غيرك

عادت ساري الى ماليارا ثانية وشعرت بما هي عليه من تناقض. بقيت حساسة جدا لأقل معارضة من بليك، لكن ايامها مضت دون عداء او خلافات او حتى تضارب في الآراء.

أما بليك فقد بقي على حاله صلبا، مسيطرا مما اعاد الى ذهنها صورا من الماضي حين كانت نظرتها اليه خليطا من المقاومة والاحترام، الشيء الذي خلق وداً خفياً ربط بينهما وجعلها في شوق دائم لأن تبقى معه وتراقبه.

أحس بليك بالفرح لهذا التحول الجديد لأن ساري لم تكن لغزاً بالنسبة له. الا انه بقي غامضا مما كان يدفعها الى غرفتها لتتأمل صورة لها مع بليك اخذها مصور محترف إبان احدى احتفالات عيد

الفصح. كانت يومها في احسن حال، تتأمل وجه بليك ضاحكة، ربما لشيء مسلٍ قاله. ظهرت الصورة في الصحف وخدعت الكثير من لا يعرفون حقيقة العلاقة بينهما، حتى ان احدى صديقاتها اكدت لها انها تبدو مثل عروس في شهر العسل، وكانت كلما تذكرت هذا التعليق تتمنى تمزيق الصورة لكنها لم تفعل. كانت ذكرياتها الحلوة مع بليك تسعدها دائماً. فكرت: (ربما كانت ابتسامة بليك الغامضة وانحناءة رأسه هما اللذان جعلا الصورة تبدو عاطفية، ربما كنت في ذلك الوقت...).

كانت ساري دوما تتوقف عن التفكير عند هذا الحد وتنصرف لفعل أي شيء آخر. كانت تعمل جاهدة لانجاح احتفالات المزاد متغلبة على ما قد يحدث من مشاكل، مما سد مجالات النقد حتى امام بليك. كان بالامكان اجراء الكثير من المداولات خلال يومي المزاد لكن ذلك لم يمنع الباقين من التمتع بأوقاتهم. وقد تم الاتفاق على نزهة للسباق هذه السنة بدل تقديم اللحوم المشوية ولعب البولو. ولاقت الفكرة نجاحاً منقطع النظير اذ لم يرفض احد نزهة للسباق في سهول ماليارا، وذلك يعود الى اسباب عدة منها اتساع المكان وكونه سابحاً بالضوء، محاطا بالألوان المختلفة وبخاصة اللون الأحمر، والأشجار التي شكلت سورا جميلا احاط بالمكان. والأهم من ذلك كله رغبة الموجودين في ان يقضوا وقتا ممتعا سعيدين بالضيافة الممتازة. ذلك هو حال من يعيش في عزلة، تراه يهتم بأي مناسبة اجتماعية. اما لاعبو الورق فقد وجدوا مجالا لتسليتهم ايضا. وهنا يبرز دور المزاد حيث يتناقل الجميع الأخبار ويطمئنون على بعضهم بعضا مما لا يفعلونه إبان المهرجان. اما السيدات فكان لهن سباق ثمن الميل شاركت فيه ساري نفسها، وكانت سكوتي قد ربحته في

آخر مرة لكنها رفضت دخوله هذا العام. توقعت ساري ان يعترض بليك على مشاركتها في هذا السباق لكنه اكتفى بالمراقبة. وبما ان سكولي لم تشترك فلا شك ان دانس حصان ساري سيفوز حتماً. وبدأت فترة قراءة أسماء المشتركات التي كانت تقوم بها العمة ألثيا، السيدة الوقور ذات الملابس القديمة الأنيقة.

كان السباق على وشك البدء. وكانت مراقبة العمة ألثيا بشعرها الأبيض المضمون وهي تقرأ الأسماء تشبه مراقبة انسان يحصي أمواله، اذ ان العمة ألثيا كانت تعتبر قراءة الأسماء عملاً من واجبها القيام به، وقد كانت غاية في الجد فيما يتعلق بعملها.

تزوجت العمة ألثيا العم هادو في التاسعة عشرة من عمرها. كانت جميلة واسمها ألثيا أدير بنت السيد كينيث أدير مالك وست وتلز أفضل مرعى للقطعان في نيوساوث ويلز. وكانت تؤمن ان بليك هو وحده الذي يناسبها مكانة. كانت اما لثلاث فتيات وجدة لجيلين، ولكن لم يكن لديها أولاد ذكور. في ذلك الصباح وجدتها ساري في ملحق البيت الجديد المطل على بركة السباحة. كان الملحق مليئاً بالأزهار، رصفت ارضه ببلاط من السيراميك وقد توزعت في أنحائه مفروشات من اللون الأصفر المذهب. كانت مجموعة من البطاقات امامها على طاولة مغطاة بلوح من الزجاج وهي منهمكة في البحث عن الأسماء بشكل منتظم:

- هل كل شيء على ما يرام، هل يزعجك الضوء؟

ثم قالت العمة ألثيا:

- الخطوط فظيعة! ليت الشبيبة تحافظ على المستويات القديمة، لا سيما وان تكاليف العلم بلغت حداً كبيراً. ثم من هو ذكي هولند؟

- دنيس صديقتي.

- هذا ما اعتبه. لقد قرأت الاسم ثلاث مرات ومع ذلك لم استطع اكتشاف ما اتى بعد الحرف الأول.

قالت ساري بهدوء وهي تراقب البركة بمياهها الزرقاء:

- ستصادفين الكثير من هذا النوع. هل نمت جيداً؟

- لا. استرخت اطرافي لكن الأفكار بقيت تتلاطم في رأسي.

كان الجواب بمثابة انذار لساري فتأملت وجه السيدة: (وجهها لا زال جميلا رغم تقدمها في السن. لكنها لاشك تعبة). قالت لها:

- اتركي ما تفعلينه وتعالي استريحي هنا. سأقوم بما تبقى رغم انه مضيعة للوقت. إني لا أشك ان الدعوات الأخيرة مقبولة.

رمت العمة ألثيا نفسها على المقعد الطويل وما ان استقر بها المقام هناك حتى ربتت على يد ساري قائلة:

- المشكلة تكمن الآن في كيفية الوقوف.

- ليس عليك ان تقفي قبل ساعات. أتشاركينني في فنجان من الشاي؟ لم اتناول شيئاً منذ الساعة السادسة.

- ولا انا. . . . تعالي، لا حاجة لاحضاره لأن جيس ستأتينا به.

- الشاي لكلتينا؟

- نعم.

- هذا لطف منك.

- شعرنا بقدومك من شعرك الأحمر. . . آه تذكرت. . . بما ان بصرك اقوى من بصري هل ترين المحبوب في مكان ما؟

سألت ساري بقلق:

- هل تريدين حبة الآن!

- نعم. . . رغم انها لا تفيدني كثيراً. هل ترينها؟

- أليست في جيبك؟

- لا اعتقد.

قالتها العمة أثيا وهي تتلمس داخل جيبها حتى اصطدمت اصابعها بعلبتها الخاصة بالحبوب. عندئذ تابعت بترفع:

- لقد وجدتها.

لكن وجهها المتعب أقلق ساري:

- سأجلب لك بعض الماء..

- ابقي هنا لحظة. لقد نمت ليلة البارحة وانتابني كابوس مخيف.

- سأجلب لك الماء أولا وباستطاعتك بعدئذ اخباري عن الحلم.

- لكن من الأفضل ان اخبرك الآن...

وشهقت ثم أنّت بشكل سمّر ساري في مكانها.

كانت العمة أثيا تتبدل ببطء من سيدة قوية الى انسانة اعتصرها الألم.

صرخت ساري خائفة وركعت الى جانب السيدة العجوز تتأمل وجهها الأصفر قائلة:

- يا الهي... عمتي... ما بك؟

همست عمتها:

- احضري بليك...

صرخت ساري:

- أين جيس؟ أنا لا استطيع تركك.

وحضرت جيس المسؤولة عن المنزل منذ سنوات عديدة بسرعة. وضعت الشاي من يدها واتجهت نحو السيدة العجوز بكأس الماء وسألتها:

- أين الحبوب؟

فأعطتها ساري الحبة:

- ها هي...

ابتلعت العمة أثيا الحبة بصعوبة بينما قالت جيس:

- احضري بليك.

- لا أستطيع أن اتركها الآن يا جيس.

أكدت لها جيس:

- سأعتني انا بها. لن اخبر العم هادو الآن لأني اعتقد انها نوبة بسيطة وستزول.

- لم ارها اثناء نوبة من قبل.

- سيدة ميريديث توقعت ان يحدث شيء مثل هذا. لقد اتعبت السيدة نفسها أكثر من اللازم في الفترة الأخيرة.

ارتجفت ساري قائلة:

- يا الهي.

وأكدت جيس:

- اطمئني - ستكون بخير... لكن افعلي ما اطلبه منك: احضري بليك لأن باستطاعته تدبير امر عمته بسهولة. انها الآن تتنفس بسهولة اكثر. اذهبي بسرعة يا ساري واحضري بليك، لقد كان مع البيطري قبل عشر دقائق. لقد ارسلت لهما الشاي الى المكتب.

قالت ساري بعصبية:

- يجب ان تكون العمة في فراشها.

- سيحملها بليك.

اسرعت ساري للبحث عن بليك بأعصاب محطمة: (لا يمكن ان أتحمل فكرة خسارة العمة أثيا مع انها في التاسعة والسبعين. لأنها مع بليك، ماليارا، والعائلة بكل افرادها جزء مني). وبدأت ساري

تراجع تصرفاتها مع العائلة منذ قدومها لتعيش بينهم في مالبارا:
(العمة آنيا كانت لطيفة دائماً، ذات قلب طيب رغم لسانها الحاد
الذي طالما سلطته على كل أفراد العائلة. لكنها احبتني وكانت تختلق
الأعذار لتسوغ تصرفاتي امام بليك منذ ان كنت في الى هنا).

كانت ساري تتنفس بصعوبة والدماء تغزو وجهها بينما خصلات
من شعرها تتشبث بجبينها وقد اتسعت عيناها من الخوف. وحين
اندفعت الى المكتب كان بليك وجيف الآن جالسين يتكلمان بود.
لكن دخولها أخافهما وما ان رآها بليك حتى وقف بسرعة الى جانبها
متسائلاً:

- ماذا هناك؟

اتكأت ساري على الباب وقد تقطعت انفاسها. عندئذ نهض
جيف على قدميه وسألها:

- ماذا هناك يا ساري!

انسابت دموع الخوف من عينيها قبل ان تقول:

- العمة آنيا...

فكر جيف: (العمة آنيا دنيا بحد ذاتها، حتى انها في بعض
النواحي أفضل من العم هادو (الرائع). ثم تساءل:

- هل ماتت؟

- لا...

كانت ردة فعل بليك عنيفة على ضعف ساري الذي اخافه:

- ساري... بالله عليك... أصابتها نوبة إذن؟

- نعم.

كان صوت ساري المرتجف ووجهها الخائف، ونظراتها المضطربة
اشياء لم يكن بليك ليتحملها لولا انها جزء منه. جذبها الى جانبه

قائلاً:

- مسكينة ساري... هذه هي نتيجة حالتنا المتزايدة لك... من
مع العمة آنيا؟ جيس؟

تمالكت نفسها:

- نعم.

- حسناً... انا آت.

سأل جيف:

- هل بإمكاني المساعدة؟

فأجاب بليك:

- كلا... كل شيء على ما يرام. استمر انت مع المجهول غير
الموسومة. لا يمكن لأحد التأكد من هذه النوبات لكن الحبوب تساعد
حتماً. سأذهب الى المنزل واطلب أنت من ارمستروتغ مساعدتك فان
عنده ما يكفي من التعليمات.

بقيت ساري متقبضة على الرغم من كل شيء:

- لا احد اهم من عمتي... اسرع أرجوك.

تباطأ في خطوه قليلاً وتطلع اليها بنظرات قوية كلها اهتمام مما
دفعها للاعتذار قائلة:

- آسفة... لم اقصد ما قلت... ما اغباني... من حقك الا
تميل اليّ!

- أنا لا أميل اليك اطلاقاً... لكن هذا ليس هو الوقت المناسب
لمثل هذه الأحاديث... أسرعي.

كانت العمة آنيا تعود الى حالتها الطبيعية شيئاً فشيئاً بمساعدة
جيس وميرا الخادمة اللتين كانتا تحيطانها. ارتاحت جيس لمرآها:

- أنا سعيدة بعودتك.

قال بليك:

- الى السرير يا عمة!

أجابته بضعف:

- لن أعارضك.

اتجه بليك نحو المقعد وحمل السيدة العجوز وكأنها طفل صغير قائلاً:

- اياك والمعارضة لأننا نريد الوصول الى تفاهم بيننا. ارتاحي انت ولا تشغلي بالي وسأذهب لاحضار الطبيب بارت ابوتشو لاجراء فحص عام لك وبذلك نقرب موعده لا اكثر.

قالت العمة أثيا رغم ثقتها بنفسها وبقيمتها:

- أنا خجلة من نفسي.

أجابها بليك:

- كفاك سخفاً... انت رائعة عندما لا تحاولين تعقيد الأمور.

فشكرته قائلة:

- لطالما اهتممت بي يا بليك، أنت أروع رجل عرفته!.

- ماعدا هادو الذي يتميز بصفات ولا احلى. ترى أين هو؟

رجته العجوز:

- لا تناده... فالقلق يؤذيه وخاصة اذا كان الأمر يتعلق بي.

تجاهل بليك العمة أثيا وسأل ساري:

- هل رأيته في مكان ما؟

أجابت:

- رحل مع جيمي.

غضب بليك:

- أصحيح ما تقولين؟ هذا يفسر أشياء كثيرة. تعالي معي يا ساري

وساعديني في وضع السيدة في فراشها. يعجبني منظرك يا عمتي ولكن لماذا هذه الملابس كلها؟

أكدت السيدة العجوز:

- انها أشياء أساسية.

وحينما استدار بليك ليخرج من الغرفة ذكرته:

- لا تنسى ان تأتيني بالطبيب.

- سأفعل.

احتجت السيدة:

- يظهر اني سأضطر للبقاء في حجرتي.

فأكد بليك:

- لا بد من ذلك.

- لكن الراحة تتعبني.

- تحملي ذلك يوما او يومين على الأكثر واذا أردت حضور احتفالات البيع والتأثير في الحاضرين فعليك استعادة قواك أولاً.

ضحكت السيدة:

- سأترك مهمة التأثير في الناس لساري فهي جميلة العائلة لكن لا تدع جيل تسمعني.

ثم قالت لساري بعد ان لاحظت شحوبها:

- لا تقلقي يا صغيرتي... كانت نوبة بسيطة.

قبلت ساري يد العجوز قائلة:

- أنت عزيزة علي يا عمتي.

أجابتها السيدة:

- كلنا سنموت في يوم من الأيام يا صغيرتي.

ضحك بليك قائلاً:

- لكن اياك والرحيل ايام المبيع.

- اطمئن لن افعل... لكن الموت حادث لا بد منه وقد عشت حياة هنيئة، فلا تبكوني يا أولادي.

حقاً إن الحياة لها قيمتها ولكن عندما يتعب الانسان يكون سعيداً باستقبال الموت.

أجابها بليك بينما كانت ساري تحضر فراش العجوز:

- لكن دورك لم يأت بعد. ما حصل لم يكن الا خروجاً عن المألوف وحسب.

كانت غرفة نوم العمة الثيا فخمة الاثاث وعلى السرير غطاء مزين بباقات من الأزهار الرائعة مع وسائد ذات وجوه خضراء سندسية حلوة تناسب فخامة الغرفة. وعلى جانبي السرير كان هناك مقعدان جميلان في قدمهما وألوانهما. اما التحف الخاصة بالعمة العجوز فقد تناثرت في انحاء الغرفة مشيعة جوا من الفوضى المحببة، هذا بالإضافة الى مجوهراتها الثمينة التي كانت في مكان لا يعرفه احد لأنها نادراً ما تتزين بها.

دخل بليك الغرفة وجلس على طرف السرير قائلاً:

- سأقف هنا بينما تساعدك ساري في تغيير ملابسك.

- لا... لن اسمح لك بما لم اسمح به حتى لزوجي.

- لن انظر اليك... بل سأنظر من النافذة.

- حسناً.

قالت ساري:

- هيا إذن يا عمتي... دعيني أساعدك.

شكرتها العمة على مساعدتها بابتسامة حلوة وهي تستعد للاسترخاء في سريرها... وفي اللحظة التي ترك فيها الاثنان السيدة

لتنام انفجرت ساري باكية، اذ تذكرت فلسفة العمة الثيا المتعلقة بالموت والحياة والتمتع بالحاضر. كانت ساري أضعف من ان تسيطر على مشاعرها في تلك اللحظة، وخاصة تخوفها من الموت وما يجلبه من بؤس وحزن للأحياء. كانت تعرف ان من واجبها ان تكون شجاعة وتقبل بالأمر الواقع كالعمة العزيزة. لكنها لم تستطع ذلك فانسابت الدموع على وجهها.

قال بليك بجفاء:

- كفى يا ساري.

- ليس الأمر بيدي... انا لا املك قوتك في تقبل الأمر الواقع ولا اعتقد اني استطيع تحمل فكرة موت العمة الثيا.

أجابها.

- سيكون ذلك صعباً علي أنا ايضا يا ساري.

- لا... أنت قوي، وتستطيع التغلب على كل الصعاب.

- لكني لا احتمل رؤيتك تبكين.

- لا... باستطاعتك تحمل ذلك فقد بكيت امامك الكثير من المرات دون ان تتأثر.

- بكاؤك هذا يختلف.

قال ذلك بصوت اقرب الى الرقة مما دفع ساري لأن ترفع اليه وجهاً مبللاً بالدموع. وحين وصلا الى نهاية الممر وقف بليك قريبا منها، ممسكاً بذراعها فاشتعلت نار التناقض فيها: (أنا ضائعة بين شخصية بليك التي اعرف وشخصيته الأخرى التي لا اعرفها أبداً).

فضحت تعابير وجهها أفكارها فضحك بليك مفكراً: (لا شك ان التوتر المذهل هو الذي يقرب بيننا).

اعترفت ساري:

- يخيل اليّ اني لا اعرفك في بعض الأحيان!

قال ساخراً:

- لا استغرب قولك خاصة وان ماضيا مليئا بالمشاحنات يقف بيننا ويجعلك غير مطمئنة لي.

أربكها بريق عينيه الا انها سمعته يقول:

- ائتني مكانك.
- لماذا؟
- أريد ان امسح دموعك... هل عندك ما يساعدني على ذلك؟
- منديل من الورق نظيف.

أعطته ما يريد وهي ما تزال تحت تأثير جاذبيته المفرطة. أجبرها على مواجهته وراح يمسح دموعها.

قالت له:

- انك تؤلمني.
- هذا هو المقصود يا عزيزتي.

انتابتها فجأة رغبة مجنونة في عناقه. أغضبها ذلك فحاولت الخلاص من تأثيره قائلة:

- هذا يكفي.
- لا... وانت تعرفين ذلك.
- لا تهددني.
- بأي طريقة أهددك؟
- بكل الطرق الممكنة.
- أعتقد يا عزيزتي انك مشغولة بنفسك مما يمنعك من الاحساس بأشياء قريبة جداً.
- تقصد تلك الأشياء التي لا يمكنني تقبلها؟

- ما الذي لا يمكنك تقبله؟
- فكرة كونك المسيطر دائماً.

ضحك:

- أنا أريد ذلك فعلا... واعترف اني احبذ تصرفاتك حين لا تكون سخيفة.

سألته:

- لماذا لا تحاول فهمي؟
- انا أفهمك تماماً يا عزيزتي على الرغم من أنك تصرين على عدم الاعتراف بذلك.
- هناك الكثير من النواحي لا تعرفها.
- لا أعتقد.

تساءلت بعنف:

- لماذا لا تجد لنفسك زوجة؟

فضحك:

- يالها من مصيبة... اتخذ زوجة لتتعبني!
- لا أعتقد ان باستطاعتها ذلك.
- هل لديك اقتراحات متعلقة بهذا الموضوع؟
- فعلا لا تستحقك واحدة منا... ولكن هناك كثيرات يتمنين الزواج منك.
- وهل ستكونين من أوائل المهنئين؟
- طبعاً... وخاصة ان العمة ألثيا بخير والمهمات ستستمر. في الحقيقة انا في شوق للقاء بيتر.
- وأنا كذلك... رغم أني أجد حماسك مبالغاً به، ثم انك رائعة عندما يربكك الخوف والغضب.

اشتعل غضب ساري وفكرت بالهرب لكنه كان حجر عثرة في طريقها.

حاولت صفعه فمنعها قائلاً:

- لا تكرري ذلك مرة أخرى.

ردتها الكلمات الى وعيها:

- بليك... ما الذي يحدث؟

- اطمئني... أشياء نستطيع تدبيرها. لم يحرمك احد من شيء يا ساري... لكنك تخرجين الآن من عالم أحلامك.

- اتمنى ان يكون خروجي تدريجيا وليس دفعة واحدة.

- لا شيء يأتي بسهولة.

- إلاّ عندما اكون قريبة.

- أعتقد أنك تفضلين ان تكوني بحيلة.

- الحد من الصعب تفهم ذلك؟

- لا... لكني اتصور ان هذا المكان هو الأفضل لك... تعالي يا سيلين نفتش عن هادو.

- هل سأفتش عنه وحدي؟

- هل ساكون معك لأتأكد من عودتكما الى البيت ثانية؟

سبقها بليك ببضع خطوات وتبعته وكأنها مشدودة اليه. وعد الطبيب بارت ارنشو ان يأتيهم خلال ساعات فارتاح بليك بشكل دعا ساري الى القول:

- اشعر بشعور من يعيد تقييم حياته. لقد كنتم جميعاً لطفاء معي.

- لكني كنت اشعر بعدائك لي في بعض الأحيان.

- هذه تخيلات.

- كلا... ليست كذلك.

- أنت عميق يا بليك.

- فعلا... لكني لم اتغير من جهتك أبداً.

- لقد تغيرت حتى معي.

- لا. لكنك تتصرفين وكأنك طفلة تدافع عن نفسها.

- نعم... تصرفت بهذا الشكل في بعض الأحيان.

- انت انسانة طيبة... واذا تزوجت بيتر شلتون فسأفتقدك!

- لماذا؟

- لأني متعلق بك؟

- هذه اول مرة اسمع فيها منك مثل هذا القول!

- ذلك حتى لا افسدك، واعتقد انك تعرفين ذلك.

- لكني اريد ان اسمع المزيد.

- لن تسمعي المزيد لأنه يجب علينا ايجاد العم هادو.

- سأساعدك في البحث لأني اعتقد ان رحلاته تتعلق بعمله وهو ايجاد القبائل الأثرية ولا يستطيع احد مساعدته إلا جيمي.

- جيمي يدفع بالعم هادو الى عالمه.

- لكن جيمي انسان جدي.

- وعامل ممتاز أيضاً، لكنه مغرق في الخيال.

- وخجول...

- لا تنسي أنه يتقدم في السن... ومع انه كان في يوم من الأيام بطلا الاّ انه هذه الأيام ليس إلا ارطالا من الشحم واللحم.

- ليس من العدل ان يتقدم السن بالانسان، أليس كذلك؟ أتصورها خيانة كبرى. خذ مثلا العم هادو... أعرف انه لا يزال رائعا ولكنه كان يوما وسيما مليئاً بالنشاط، وصورته اكبر دليل على ذلك. لا عجب ان العمة أليا احبته بقوة في الماضي لكننا الآن نقلق

عليه دائماً.

- لهذا السبب فان جيمي معه طوال الوقت يرتب له الأمور. واذا وقعت للعم اية مشكله فباستطاعة جيمي ارسال استغاثة عبر السهول مع أنها قد تصل الينا متأخرة. لقد اعتاد العم هادو أسلوب حياتنا هذا ولا يريد تبديله، واغلب الظن انه سيموت هناك في البراري وهو يبحث عن عالمه الأسطوري.

- لو ان احدنا يستطيع العيش تسع مرات...

أمسك بليك بكتفي ساري قائلاً:

- الحياة ليست سهلة. الا زلت آتية معي؟

-طبعاً... لأنها الحياة الوحيدة التي اريد ان احياها، تماما مثل العم هادو.

- أنت حتماً لا تعنين ما تقولين.

- بل... ولا داع للاستغراب.

ضحك بليك فجأة:

- في الحقيقة يا ساري انت تضعفينني احياناً.

- أنا التي لم اعد افهم نفسي هذه الأيام. هل نأخذ السيارة؟

- نعم... توفيراً للوقت.

تأملت ساري السماء الزرقاء، وحائم الصحراء تتراقص فيها قبل ان تصعد الى السيارة التي قادها بليك بصمت بينما كانت سابحة في عالم افكارها: (الهالة المحيطة به هالة القوة والسيطرة، ولا مجال للخوف بوجوده حتى لو تهنا في الصحراء لأنه سيعرف حتماً كيف ينقذنا).

- أعتقد ان بامكاننا العثور عليه عند بحيرة ملجيري الصخرية. سمعته يتكلم عنها البارحة.

- لا يمكن ان يلعب هناك في وضح النهار لأنها بحيرة مسحورة.

تذكرت ساري خوفها من البحيرة:

- غريب... أليس كذلك؟

- ربما... لكن القصة قديمة، ابتدأت بالعداء بين القبائل وخرق القوانين حيث هجم رجال الكلاديتشا ذات يوم على مخيم صغير وسبى نساءه بعد ان قتل الرجال. لذلك صارت القبائل تخاف البحيرة الصخرية لأن اصوات الذين قتلوا وهمساتهم مازالت تسمع فيها. تصوري ان احد الذين شربوا منها يوماً مات دون سبب ظاهر.

أخافت القصة ساري لكن بليك ضحك قائلاً:

- مسكينة انت... لا تخافي... لن اوميك هناك ابداً.

- اعترف لك ان ذلك سينهك اعصابي.

- أعرف ذلك رغم اني متأكد من حبك للمأساويات التي توسع عينيك.

- لست مسؤولة عن تلقائية عملي الجسماني.

- انها تلقائية رائعة. انظري... هناك عمود من الدخان.

- لا استطيع رؤيته.

أجاب بليك بتركيز:

- انه هناك.

كانت ساري تعرف أن لا مجال لمعارضة بليك فيما يقوله. لذلك اخلت قبعتها واستعملتها كمروحة بينما تجعدت خصلات شعرها فبدت كطفلة صغيرة. كان الحر شديداً والسراب يرى في كل مكان شكل مساحات ماء أزرق. وعندما مرت السيارة قريباً من عصافير الصحراء - طعام النسور المفضل - تركت، أغصان الأشجار فزعة، واختفت الأفاعي والسحالي.

اخترقا المساحة المزهرة الممتدة بين البيت والبحيرة متمتعين انظارهما بمناظرها الخلابة. كانت قطعان الماشية ترتع في السهل غارقة بين الحشائش. أما الصحراء وصخور مالبارا الحمراء القديمة الهرمية الشكل فقد ظهرت الى الغرب.

كانت الرمال الحمراء تلمع تحت اشعة الشمس ممتدة الى ما لا نهاية. اما الأشجار على اختلاف انواعها مع العصافير المختلفة الأشكال والألوان فقد بدأت تتضاءل حتى أصبحت المساحات المشجرة أشبه بالرقع.

هبطت السيارة ببليك في اخدود رملي وخرج منه قبل ان يقول لساري التي كانت تحاول تهدئة اعصابها:

- ستهطل الأمطار الليلة.

- آمل ذلك لأنه سيكون لدينا الكثير من الأزهار البرية طوال فترة المزاد.

- أتمنى ان يساعدك شلتون في بعضها... على الرغم من انه لا يفقه ركوب الخيل.

- سيكون ذلك رائعاً.

- لا بل قولي ستكون فرصة ذهبية!

- أنا شخصياً أتمنى نصب خيمة في الصحراء.

- ما أحلاها من فكرة... اشعلي لي سيكارتي.

كانت تحملق فيه وهو يدخن سيكارته: (نحاسي البشرة، مستقيم الأنف، كثيف الأهداب، ورائع الذقن).

- ماذا بك؟

- لا شيء.

- نوبات ذهولك كثيرة هذه الأيام.

ردت بسذاجة:

- لأنك وسيم جداً.

نظر اليها مستغرباً قبل ان تسأله:

- ألا يمكننا يا بليك؟

- عمَّ تتكلمين؟

- ننصب خيمة هنا تحت النجوم لنشاهد التلال الرملية حين تكسوها اشعة القمر برداء فضي بينما النجوم تلمع في السماء والهواء عليل.

- يبدو لي ذلك مملاً، صحيح اني ممتاز في الحفاظ عليك لكن لا تعتمدي علي في أي شيء آخر، حتى في تحقيق حلمك.

- سيكون الحال مختلفاً اذا كانت ليا معنا!

- في مثل هذه الحال انسي كل الترتيبات لأني سبق وأكدت لك ان صديقتك تضيع وقتها.

- انها معجبة بك.

- لكني لست كذلك.

- غريب... يخيل الي انكما قد تشكلان ثنائياً رائعاً.

- كفاك سخفاً.

- حسناً... انا لا اريدك ان تتزوج ابدا لأنك ان تزوجت فلن تحبني زوجتك.

- بل ستحبك حتماً.

- دعنا من هذا الحديث.

- لماذا؟

- لا أريد الخوض به.

- مع انه في منتهى الأهمية... لكن حسناً.

- سنفعل ذلك في يوم عيد ميلادي.
- عم تتكلمين الآن؟
- أضواء النجوم رائعة في الصحراء.
- لكن البرد قارس. ثم هل تريدين الرحيل قبل انتهاء البيع؟
- اذا كانت العمة أثينا في حالة حسنة.
- هذا عرض جديد إذن.
- نعم وأظن انه لا مجال لمناقشته الآن.
- هذا صحيح.
- بليك...
- ماذا؟
- لا شيء... انا ابحث عن موضوع آخر فقط.
- لقد تغيرت حالك هذه الأيام.
- لن أعترض على رأيك المحترم... شكراً.
- كانت هذه حالنا دائماً. تصرفاتك دائماً غريزية... وتأتي الآن عائلة شلتون لتغطية هذه التصرفات أو ربما لتقويتها.
- هذا ليس بصحيح.
- بل... انه صحيح.
نظر اليها بخشونة فقالت:
- لا تنظر الي هكذا. نظرتك غريبة.
- تعنين ان نظراتي ترعجك.
- نعم.
- آسف إذن.
- لابد لي من تفسير شعوري نحوك يا بليك.
- ألم تفعلي ذلك بعد؟

- لا... أنا عاجزة تماماً.
- لا تخافي... ستفعلين ذلك يوما.
- أستطيع ان أقول الآن اني اخافك.
- تكلمي عن شعورك هذا.
- مستحيل ان افعل ذلك الآن.
- حسناً... ذلك لا يهم لأن عينيك تفضحان مشاعرك. وهنا أتساءل الا يمكنك فعل أي شيء من أجلي؟
- لكن دون ارادة.
- المهم انك تقومين بالمطلوب.
- نعم.
- تباطأت في اتخاذ القرار.
- أنا من النوع هذا، المصيبة معك يا بليك انك تتطلب ممن حولك الولاء الكامل.
- هذه ملاحظة لا معنى لها.
- لكني اعني ما اقول.
- انت تتغافلين عن الأشياء الأساسية. لكنك اتخذت الخطوة الأولى وأعلنت حبك لمالبارا.
- انها بلادك... قلعتك... أليس كذلك؟
- انها ملجأك قبل كل شيء. لقد أتيت الى هنا عندما كنت في الثانية عشرة من عمرك واعلنت اكثر من مرة كرهك لي وللمكان.
استدارت نحوه قائلة:
- هل فعلت ذلك حقاً؟
- كنت تصرحين بذلك باستمرار أيتها الطفلة المشاكسة.
- كلامك مؤلم.

- ربما. . . لكني محق فيما اقول لانه في بعض الأحيان تبرز لك مخالب قطة. لقد تحملتك كثيراً طوال سنين مضت اذ لا يستطيع أحد في الدنيا ان يتحمل هروبك المتواصل.

استغربت:

- كيف فعلت هذا؟

- كم من الصعب التعامل مع صاحبة شعر أحمر. . . طرية العود مثلك. على كل حال أنت لم تنالي كفايتك من الحب كطفلة وقد أخذت هذا بعين الاعتبار.

- لا تتكلم عن طفولتي يا بليك.

- أليس ما أقوله صحيحاً؟

- نعم. . . لكن لا اريد البحث في هذا الموضوع. أكيد ان مارا لم تكن تريدني، أبي مات، وأنت توليت تربيتي مراعاة له. أغريت مارا بالمال لأني من العائلة لكن اعترف يا بليك اني لن اكون من العائلة أبداً.

- لا تكوني سخيفة. انت مزاجية وعاطفية وبحاجة الى من يرعاك.

- هذا قول صحيح. الشمس حامية، أليس كذلك؟

وضع بليك السيارة في الظل وأوقفها قائلاً:

- والآن؟

- انت بارع في زعزعتي.

- هل تشفقين على نفسك؟

- لا. . . ليس ذلك من طباعي.

- باستطاعتك ان تكوني رقيقة معطاءة بنفس القوة التي تقاومينني بها. لكني ارى ان الوقت والقدرة اللذين تضيعينهما ما هما إلا خدعة

معروفة.

- آسفة يا بليك. اعرف أنك كنت ممتازاً معي.

- انسي ذلك. . . لقد علمتك ركوب الخيل وزرت معك هذه البلاد مالئاً رأسك الصغير بأصواتها وصورها. لكن حان الوقت لخروجك من بحر أحزانك وحدك والتخلص من المقاومة الرافضة التي تزعجك. أرجوك افتحي عينيك عندما أكلمك.

- آسفة.

- كفاك أسفاً وكلميني.

تطلعت اليه:

- انا لا أريد ان اضيع شخصيتي يا بليك.

- أعرف ان ذلك له أهمية بالنسبة لك. لكن كيف تريدين الحفاظ عليها؟

قالت بخوف:

- أنت قوي جداً.

- هذا ما تقولينه دائماً.

- قد تتفق بمرور الوقت.

- سأفعل شيئاً من اجل هذا في القريب العاجل.

- قل لي متى.

- وبماذا سينفعك ذلك؟

- قد أهرب!

- هذا ما تصورته لذلك أخفي عنك بعض الأشياء.

- هذا ما تفعله دائماً، وطلب أي زيادة منك قد يصبح خطراً.

- أنت على حق. والآن اجلسي بصمت وهدوء لأن اعصابي قريبة من درجة الغليان.

- قد أستطيع التخفيف عنك. لكني لا استطيع.

حذرها:

- ذلك أفضل يا سيلين.

- حسناً يا سيدي.

قالتها بخجل وكأنها احدى فتيات المنزل الباحثات عن رضى بليك وابتسامته.

- لن تتعلمي ابداً، أليس كذلك يا عزيزتي؟

- لقد تعلمت الكثير في فترة قصيرة، خذ اليوم مثلاً.

- من الذي كان يتصور؟

فكرت ساري: (أنا). وتأملت المساحات الممتدة أمامها رمزاً للقوة والعنف: (لقد رسمها الفنان ناماتجيرا في لوحاته بشكل رائع بكل ألوانها، صخورها، ورمالها. وقد تعلمت يوماً ان هذا هو عالمي الذي احبه وسيقتلني بعدي عنه. وتعلمت أيضاً انك تدخل يا بليك في السراء والضراء ضمن ممتلكاتي الخاصة، رغم انني ابقيك دائماً بعيدا عن قلبي. لكنني في الحقيقة كنت اتصرف كأي مخلوق صحراوي محاولة التغلب على الصياد، ولكن عبثاً، والله وحده يعلم ما الذي يمكن ان يجره هذا الاستسلام).

وغطى خيال بحيرة نلجيري السهل امامها كما هو الحال دائماً، وكأنه يحرس الممر ويحنو على مساحات واسعة من الأزهار البرية القديمة قدم الانسان.

وعلى مسافة ميلين من المكان ظهر ستار البحيرة الواقي، ذلك المكان المقفر الذي لا تجرؤ حتى الكلاب البرية الاقتراب منه. محاطاً بهالة من الغموض حتى في وضح النهار مما دفع ساري الى القول:

- اعتقد اننا اخطأنا المكان.

وجه بليك سيارته الى النتوء الجبلي مشيراً الى بقعة ما على الأرض:

- لا اعتقد ذلك. الآثار تبقى في الصحراء زمناً طويلاً.

لم تفهم ساري ما يعنيه بليك الا عند رؤيتها لأحد سكان البلاد الأصليين اللذي اقترب منها قائلاً:

- صباح الخير سيدي.

- صباح الخير يا جيمي. هل العم هادو معك؟

أجابه بعد ان رفع قبعته لتحية ساري:

- بالتأكيد. صباح الخير آنستي.

- أهلاً جيمي. بحثنا عنكما طويلاً.

- هل كل شيء على ما يرام؟

أجاب بليك بهدوء:

- العم هادو مطلوب في المنزل لأن السيدة ميريديث تشعر بتوعك.

- آسف لسماع هذا، ساحضر السيد حالاً.

- اين هو؟

- في الجانب الآخر يستكشف علامات جديدة.

سأله بليك:

- وهل تعني العلامات شيئاً؟

- لا استطيع القول.

همس بليك باذن ساري:

- أعتقد انه لا يريد القول.

سمعه جيمي فقال:

- هناك بعض الأشياء التي لا تقال يا سيدي لأن الزنوج منتشرون في المنطقة.

ساور القلق ساري:

- الوضع اقرب للخيال.

كانت لا زالت تحملق في الصخور والرمال الحمراء المنتشرة في المكان حين اتى بليك وحملها خارج السيارة قائلاً:

- هيا بنا يا ساري. لن نقضي الليلة هنا. انها فرصة لاستكشاف المكان جيداً فلا تكثري من التأمل.

- أشعر انه مكان مشؤوم.

- اذا بقيت على هذه الحال فسيهرب جيمي، لأنه يتظاهر بالشجاعة لكنه لا يحب المكان.

- وأنا ايضاً. اسبقني وسألحق بك.

وعلى الجانب الآخر نادى الجميع العم هادو الذي لم يسمعهم بسبب خفة سمعه، وكان بقي سليماً حتى بلوغه السبعين. انه اليوم في الرابعة والثمانين ومع ذلك كان يحاول جاهداً رفع حجر ثقيل، مخاطباً نفسه بالقول:

- حجر ثقيل ولا شك.

تقدم بليك لمساعدته قائلاً بأعلى صوته:

- اترك هذا يا عمي. دعني أساعدك.

وانتصب عود العم هادو الذي أرهقته السنون وهو يقول:

- يا لك من شهم. تأتي دائماً في الوقت المناسب. جيمي اين كنت؟

- كنت استكشف المنطقة.

عندما رأى العم هادو ساري استغرب وتساءل:

- لماذا أتيت أيضاً يا ساري؟

شرح بليك وجودها قائلاً:

- نزهة في السيارة لن تؤذيها. نحن هنا لأن العمة أليا متوعكة ومن الأفضل ان تأتي معنا.

- سآتي حالاً. هل انت متأكد من انها بخير؟

- لا داعٍ للقلق. استدعيت الطبيب وسيأتي لاجراء فحوصات طبية لكليها معاً.

- وبذلك تصطاد عصفورين بحجر واحد.

غير بليك الموضوع:

- الحمد لله انك لم تقتل نفسك بهذه الصخرة. ما كنت ستفعل بها؟

- ما يهمني هو ما تحتها يا بني.

- هل ما تحتها من صنع انسان قبائل الكولاس أو الدهوراس؟

صرخ جيمي خائفاً:

- اتركهم يا سيدي.

أجابه العم هادو:

- لن اتركهم ابداً، أيها الغبي.

قال جيمي منذراً:

- سيدي من الأفضل ان نرحل.

غضب العم:

- اياك يا جيمي.

لم يناقش جيمي العم العجوز لأنه كان تحت تأثير رهبة المكان التي احست بها ساري ايضاً.

فانطلقت تسأل جيمي:

- ماذا هناك يا جيمي؟ هل هي أرواح الأجداد؟

رجاها بليك:

- كفاكم نقاشاً بحق الله، العمة أنّيا بانتظارنا.

اتخذ العم هادو طريقه الى السيارة وتبعه جيمي الذي كان مستعدا للهروب عند سماع أي صوت.

قال بليك وقد تراقصت في مخيله بعض ذكريات الطفولة:

- الخرافات هي السبب فهي تشل قدرة الانسان على التفكير والتحكم بأعصابه. جيمي متأثر لان الخوف من المكان مزروع في داخله، وأنا ارى ان لا فائدة من الاستمرار في...

وصرخ:

- ساري ابتعدي عن المكان.

بعد ان لاحظ ان ساري تحاول ازاحة الصخرة. اخافها صوته فتطلعت اليه قائلة:

- ماذا هناك؟

- ربما كان المكان ملعوناً بحق.

- لم يخطر لي هذا على بال.

- انت تدوسين على آلاف السنين من التاريخ القبلي، وانا لا اريد ازعاج الباقي من افراد القبيلة. هذه أشياء مهمة بالنسبة لهم وخوفهم من الصخرة لن يموت أبداً، واذا كان الاعتقاد ان هذا المكان ملعون فالأفضل عدم معارضتهم وإلا تصوروا أن لعنة ما ستنزل على من بقي منهم.

- اذن لماذا ترك جيمي العم هادو يستكشف المنطقة؟

- يظهر انها المرة الأولى التي يرى فيها جيمي العلامات بنفسه. ثم من يستطيع الوقوف في وجه هادو؟ إنه القانون هنا. جيمي مثقف لكنه يبقى من أهل البلاد الأصليين، وربما كلفه المجيء الى هنا الكثير لكنه يحب اسعاد العم العزيز. واذا كان هناك وجود لآثار انسانية

فمن الأفضل عدم الكشف عنها لأن ذلك قد يميت جيمي خوفاً. وبما اني المسؤول عن حمايتهم ارى ان يبحث العم في منطقة اخرى. سأغطي المكان لأني لا اريد مشاكل. يكفيني ما احمل من مسؤوليات.

أطاعته ساري وتركت المكان خائفة وكأنها على وشك ان تحضر احتفالاً محرماً على النساء. كانت السماء زرقاء والشمس حادة. تأملتْ جسم بليك المنحني فلاحظت انه يحملق في شق صخري خفي:

- يوجد هنا حجر الشورينغا التاريخي.

رجته ساري:

- اتركه.

- سأفعل لانه لا يهمنا.

اعتدل بليك في وقفته واستعد لوضع الصخرة في مكانها من جديد، بينما كانت ساري تتجه نحوه بدافع الفضول:

- اريد ان ارى الحجر التاريخي.

- لا تحاولي التأثير في شجاعتك. سيبقى الحجر في مكانه.

- أثرّ الأمر هنا مثل جيمي.

- لكن جيمي يبقى أفضل منقب للآثار وعالم بالأدغال. وأذكرك بانه رفيق مخلص للعم العجوز.

- اني أثق به واحترم رغباته.

- لا داعي للغضب، انا لا انوي الإساءة لأرواح الأجداد.

وما إن قالت ذلك حتى مرت من فوقها دوامة هوائية أرعبت ساري ودفعتها الى ذراعي بليك القويتين طالبة الحماية، وسمعته يقول:

- اخفي رأسك في صدري.

التصقت به بينما كان يغير وقفته لتلقي قوة الدوامة عنها. لامستهما الدوامة برياحها الحارة ورمالها الحمراء لدقائق، ثم ابتعدت وعاد كل شيء الى هدوئه. عندها رفعت ساري رأسها اليه متسائلة:

- ما الذي حدث؟

- لا شيء. عاصفة بسيطة. لا بد من الاعتراف انه لا وجود للملل في هذه المناطق. وبما انها أرض قبائل قديمة فلا بد من ان الدوامة كانت روحاً تائهة.

- لا تقل ذلك... أرجوك.

كانت ساري لا تزال ملتصقة به وهو يحاول تهدئتها. شعرت بشعور غريب فخفق قلبها. قال لها:

- لا اتصور انك الآن تريدين النوم وقد كنت قبل دقائق على وشك الركض.

- معك اشعر بالحماية الكاملة.

- الاعتراف بالحق فضيلة.

- كنت في الماضي تقوى على من هم اضعف منك لهذا لم استطع الاعتراف.

- وهل انا الآن مهذب؟

- لا... لست مهذباً. من الأفضل ان يترك العم هادو المكان على حاله.

- هو وحده من يغرر.

- ترى هل مرت الدوامة بالقرب منها؟

- لا أظن ذلك لأنها ستخيف جيمي لمدة اسبوع على الأقل. والآن يا صغيرتي هل عرفت من هو الأقوى؟ دعينا نذهب الى السيارة

وتذكري اني لا زلت مرشدك المسؤول عنك.

فكرت ساري: (ان لك سحرك الخاص ايضاً). كانت تحاول السيطرة على خفقات قلبها وفيض المشاعر الذي استولى عليها: (بليك هو حياتي... هو القوة، هو...).

تعثرت ساري بصخرة فقال لها:

- اي نوع من فتيات الغابات انت؟

- أصابتني صدمة.

- تمالكي نفسك إذن.

قالها وهو يحملها تاركاً اياها تحاول مقاومته بقبضتيها بينما الأحاسيس تضطرم في داخلها.

صرخت:

- انزلني.

- امرك سيدتي.

كان ينزلها ببطء جعل مشاعر الحب والعداء تتشابك في اعماقها قبل ان تقول:

- أرجوك...

- حسناً مادام لم يعد هناك مجال للغش بيننا.

شعرت ساري بضعفها: (لم أعد احتمل. كان بليك دائماً الطاغية في حياتي، لكن حبه راسخ في اعماقي، وبما لأنه ذكي كريم يهتم بمن حوله ومن جهة اخرى يتحمل اخطائي). رفعت رأسها اليه:

- انا غبية، أليس كذلك؟

- انت عصبية فقط.

هربت من نظراته الحلوة راكضة باتجاه السيارة: (لا يزال بليك لغزاً بالنسبة لي، ورغم ذلك فإن فكرة زواجه من أية فتاة اخرى

تدفعني الى الجنون. واذا حصل هذا فسأترك ماليارا إذ انه لا حياة لي فيها بزواجه. انا اريد هذا الرجل).

كان العم هادو وجيمي في السيارة عندما وصلت اليها. استغرب العم هادو:

- ليس الوقت مناسباً للتمرينات الرياضية.
- لكن التمرينات الرياضية تنقذ حياة الكثيرين.
- هذا صحيح. لكن لا ضرورة للركض المجنون، إنه شاق في الحر. أنت تحتاجين للراحة.

صعدت الى السيارة وسألت العجوز:

- هل حدث شيء هنا قبل دقائق؟
- لا، لم يحدث أي شيء. هنا قد فعلتها ثانية يا جيمي؟
- وكيف ذلك؟
- يا له من جواب.

حاولت ساري برقتها إنقاذ الموقف:

- لاعتقد ان بليك نفسه يريد العودة الى المنطقة.

اكد العم العجوز:

- سأقبل الأمر منه فقط.

قالت ساري بحذر:

- سيصل الطبيب ابرنشو الى البيت بعدقليل.
- ليكن ما يكون، انا لست بحاجة الى طبيب. وانما الى الخروج لفعل شيء ما.
- هو آت لأجل العمة اثيا.

استجوبها:

- أصحيح انها نوبة بسيطة؟

- نعم، وقد تنفع الراحة.
- سنناقش الأمر عندما يذهب جيمي.
- تذكر أحاديثنا الماضية.
- إيجاد الآثار الانسانية سهل جداً، اليس كذلك يا جيمي؟
- نعم يا سيدي.

سأل العجوز بليك:

- أتريد ان تثبط عزيمتي؟

قال بليك:

- هناك اشياء كثيرة غامضة في هذا المكان. الا تعترف بذلك؟
- انت على حق يا بني، لذلك اريدك ان تطلع على آخر أوراقي المكتوبة لتبدي رأيك.

قال بليك وهو يقود السيارة باتجاه المنزل:

- لا أجد سبباً لعدم نشر كتاباتك.
- أتراك صادقا فيما تقول؟

وفجأة قبل العجوز خد ساري قائلاً:

- أشكرك على طباعتك ما كتبت. قد يعود ذلك عليك بالخير يوماً.

قال بليك:

- هذا ما نتمناه فعلاً.

وراح يصوب الى ساري نظرات ثابتة عبر المرآة جعلتها تعترف سراً أنها لا تريد رجلاً غيره.

٤ - خيمة تحت النجوم

استيقظت ساري في يوم عيد ميلادها مع الفجر على صوت ارتطام الحصى بنافذتها: (لا شك انه بليك يحاول ايقاظي). تركت السرير واتجهت نحو النافذة بعد ان لبست رداء بيتياً جميلاً لتطل وكأنها جولييت تستقبل روميو. وقف بليك تحت النافذة بملابس العمل التي لم تخل من الأناقة. سألته ساري:

- ماذا هناك!

- عيد سعيد، لكن إياك والسقوط من النافذة مع اني هنا لانقاذك.

- شكراً على تمنياتك.

- انت رائعة في الصباح.

سألته بخجل:

- اهذا ما اتيت لتخبرني به؟

- لا . . . اتيت لأمضي بعض الوقت معك قبل ان يأتي رفاقك. البسي ثيابك وتعالي.

قالت له بسعادة:

- لم اتوقع هذا منك. اصبحت في العشرين من عمري، العالم حولي رائع.

- اعرف ذلك.

انحنت وكأنها تريد رمي نفسها من النافذة.

- اعتقد اني على وشك السقوط.

- افعلي ما تشائين. هل اعطتك جيل هذا الرداء؟

- نعم، انه رائع أليس كذلك؟

- اجل انه رائع. هل ستبقين عندك ام ستنزلين لاستلام هديتك؟

- انا احب الطبيعة لكني لست غبية الى هذا الحد. سآتي حالاً.

اختفت ساري من امام النافذة وراحت تتنقل كالفراشة بين غرفة النوم ومكان الاستحمام، ثم ارتدت بسرعة فستاناً ازرق بلون عينيها قبل ان تلبي بكل حماس دعوة بليك للنزول.

كان بليك ينتظر نزولها واخذ يتأمل حالها المشرق الشبيه بالأزهار البرية التي تكسو السفوح بعد المطر. اقتطف لها وردة صفراء ذهبية وضعتها على صدرها قبل ان تسأله بشوق متزايد:

- اين هديتي؟

- لا تسرعي . . . قولي صباح الخير اولاً.

- معك حق، صباح الخير بليك.

- الا انال قبلة بمناسبة عيد ميلادك؟

- انا اقصر من ان اصل الى وجنتيك

ـ هل انت خائفة؟

ـ لا . . .

ـ في بعض الأحيان لا افهمك تماماً يا ساري.

عانقته متسائلة:

ـ ما رأيك بهذا؟

ـ ساري، يا صغيرتي الحلوة، ذلك رائع. والآن هيا بنا.

ـ هل انت غاضب؟

ـ ولماذا الغضب؟

ـ تبدو لي متشدداً بعض الشيء.

ـ ذلك لأني لا اطلب تضحية من احد.

امسك بيدها عبر الممر بينما كان موكب الشمس يتهادى في الأفق ونسيم الصباح يهب عليلاً.

احتجت:

ـ انت تسرع.

اجابها بصوت حلو:

ـ علي ان اسبق شلتون، انه سيد الدخلاء.

ـ لكنك وافقت على ارتباطي به.

ـ انا لا اوافق على شيء من هذا.

ـ اعني سمحت لي بزيارته.

توقف وسألها:

ـ هل قبلت وجنته يوماً؟

ـ لا، ولم يزعجني ذلك. تمهل ارجوك، بدأت اتعب.

ـ لا اعتقد انك تستطيعين العيش بدوني.

وحملها بينما كانت الشمس تتربع على عرش الأفق. التصقت به

وزجته قائلة:

ـ بليك، لا تغضب مني في يوم عيدي.

وقبلت وجنته قبل ان تسمعه يقول:

ـ كفاك ارتجافاً يا صغيرتي.

ـ لا استطيع السيطرة على نفسي. خفقات قلبي تتزايد.

ـ اشعر بذلك.

ودارت عجلة يوم جديد في المطابخ والاسطبلات مع بداية تغريد العصافير.

تساءلت ساري:

ـ هل انا ثقيلة الوزن؟

فهز بليك رأسه بالنفي قائلاً:

ـ استطيع ان اقطع الصحراء، وانا احملك دون ان يتعبني ذلك. على كل حال لقد وصلنا. انزل بليك ساري وابتعد عنها برشاقة تاركاً اياها تحت اشعة الشمس. اخذت تفكر به: (ان حبي له تختلف هذه المرة. كل ما فيه يجعل الدم يغلي في عروقي. اريد هذا الرجل بكل جوارحي. واتعذب لأني لا استطيع مصارحته بمشاعري، لكني لن اصمد على الحال هذه طويلاً).

اسعد ساري وصول عائلة شلتون قبل موعدها رغم ما لاحظت من نظرات ليا التي لاحقت بليك باخلاص محاولة لفت انتباهه الى جمال مظهرها. وشغلتها محاولة ليا هذه عن اي شيء آخر، لكنها فرحت بوصول سكوت وزوجها الذي كانت تحترمه لانه يعمل بجد مثل بليك.

كانت ساري تحتمي بظلال شجرة حين سمعت بليك يناديها ورأته متجهاً نحوها يسوق مهراً اصيلاً ابيض ذا رقع ذهبية من سلالة

حصانه ورل وند . كانت تحب الخيول كثيراً لكنها لم تتوقع هدية مثل هذه في يوم ميلادها.

- هل المهر لي انا؟
- بالطبع هو لك.
- ما اروعها من هدية.

بدا كل شيء حولها جميلاً وهي تتجه نحو المهر بينما كان بليك يقول:

- استطيع ان اكون ذا فائدة كما تلاحظين. على كل حال كان ركوب حصاني حلماً من احلامك.
- ولم تسمح لي بتحقيق هذا الحلم يوماً.
- لان ركوبه صعب عليك، لكن هذا المهر من سلالته.

تطلعت نحوه بامتنان قائلة:

- انت ممتاز معي.
- انا اعرف كيف افسدك.

وامتطت ساري صهوة الجواد بمساعدة بليك قبل ان تسأله:

- متى اتيت به؟
- البارحة، عندما كنت مشغولة في تعليم شلتون اصول ركوب الخيل. لقد كان خائفاً ولا يعرف حتى كيفية الجلوس فوق السرج...

قاطعته ساري:

- لن اضيع الوقت في الحديث عن بيتر. شكراً لك يا بليك

وانحنت لتطبع على خده قبلة بينما كان يفحص السرج ثم انطلقت بجوادها كالسهم، سريعة، سعيدة، رشيقة. واتخذت طريقها نحو مروج الأزهار بينما ظهرت من بعيد هضاب مالبارا

الحمراء وكأنها تراقبها.

فكرت ساري في بليك الذي لم تفارق صورته خيالها: (كم انت عزيز علي يا بليك. ما احلاها من هدية. لقد اخترت له اسماً مناسباً...) وصرخت في وجه الريح:

- الغبار الذهبي...

رفع المهر رأسه وكأنه فهم ما يحدث، فالاسم رائع مع انه لم يكن موجوداً في السجلات الرسمية.

افتتحت قاعة الطعام الرسمية في البيت لأول مرة في عيد ميلاد ساري، وقد لاحظ بيتر شلتون سعة الغرفة وفخامة اثاثها المصنوع من خشب الصاج الصلب، وما فيها من تحف متناثرة اعادت الى ذاكرته صور التحف القليلة التي تملكها والدته.

اخذ بيتر يتأمل الموجودين على المنضدة واحداً بعد الآخر: بليك ميريديث شخصية فريدة، وسيم، يمكن الاعتماد عليه في اي شيء. كانت قوة شخصيته تدفع بيتر الى مهاوي الحسد والغيرة. اما السيدة العجوز بثيابها القديمة وزوجها الملكي النزعة فقد اشعرا بيتر بان لا مكان له بين الحاضرين رغم ان الرجل متميز بطلاوة حديثه. واستقرت عيناه على سكوتي وزوجها شون اللذين كانا موضع احترام الجميع. ومع ذلك احس ان التقرب منهما صعب بالنسبة له. لكن ساري تختلف عن هؤلاء جميعاً، فهي رائعة الجمال. كان بيتر يعرف ان ليا معجبة بسيد القطعان بليك، الا انه خاف المكان بكل ما فيه ومن فيه. استغرق بيتر في التفكير بما حوله: (الحرارة المرتفعة والمسافات الشاسعة مزعجتان في هذه البقعة من العالم، الا ان افراد عائلة ميريديث ملوك على ارضهم لان القطعان لا زالت منابع للثروة. كما ان طباعهم تأثرت بالظروف المناخية التي تحيط بهم، ومع

اني لا اشعر بالراحة بينهم الا انني احترمهم. انا احب ساري واريد الزواج منها. ما اروعها في عينيها بلونها الازرق المهفهف وبجوهراتها الثمينة. لقد اهديتها هدية غالية الثمن ايضاً، لكنها فرحت اكثر بالجواد الذي قدمه لها بليك. لطالما صرحت بكرهها له، لكن يظهر انها واقعة تحت تأثيره هذه الايام ولا عجب في ذلك فهو صاحب سطوة).

كان العشاء لذيذاً بشكل انسى بيتر غضبه، لكنه لم ينس ما تفعله شقيقته لتلفت نظر بليك الذي يفضل حتماً فتاة مثل ساري بجمالها وانوثتها واندفاعها.

تضايق بيتر من نظرات شقيقته واقسم ان ينبهها فيما بعد الى ضرورة التماسك لأنه ليس من المستحب ان تلاحق المرأة الرجل. لكن ما يحصل هو بسبب تأثير الأم على الابنة.

اثارت نظرات ليا التيمة الهمسات من حولها. لكنها كانت غارقة في عالم احلامها، في بليك ومحيطه الرائع.

انتهت الوليمة في التاسعة والنصف مساء وانسحب العجوزان للراحة، بينما كان بيتر ما زال يفكر في كيفية الوصول الى قلب ساري في اقرب فرصة وقبل فوات الأوان. كانت شقيقته تؤكد له دائماً ان الذهاب الى مالبارا هو الذهاب الى الجنة، لكنه لم يعد يثق بكلامها. فكر: (لا ينكر احد ان ليا انيقة، جميلة، وذكية لكن بليك لم يعطها اي اهتمام ربما بسبب وجود ساري). لم يستطع بيتر تفسير العلاقة بين بليك وساري، لكن نظراته التي تلاحقها وارتباكها امامه اشعراه ان هذه العلاقة تتجاوز حدود المودة العائلية.

لقد رفض بليك طلب ساري نصب خيمة في العراء تحت النجوم دون ان يترك اي مجال للنقاش، لكن ليا هي التي ترجوه الآن تنفيذ

المشروع، رغم ان بيتر لا يفهم هؤلاء الذين يفضلون النوم في العراء على الاسترخاء في اسرتهم الدافئة.

استولى الخوف على بيتر وتمنى البقاء امام الشرفة مع ساري الساكنة الهادئة وكأس من العصير. لكن ساري كانت تساند ليا في طلبها مصرة على ان اليوم عيدها، محاولة اضعاف بليك بنظرات ساحرة تبادلتها معه طوال السهرة بصمت ودون ان يتفوها بكلمة.

غرق بيتر في بحر افكاره مرة اخرى: (لن يأخذ احد ساري واي منافس لي يجب ان يبقى مجهولاً).

انتشل صوت شقيقته من بحر افكاره وهي تقول:

ـ احب قيادة السيارة بسرعة في الليل.

تدخل بيتر:

ـ لكنها ليست افضل طريقة للتمتع بالمناظر الطبيعية.

الهدوء الى السيارة وشعور الضيق من العائلة القبيلة يسيطر على بيتر.

٥ - الوصول الى من تحب

كان القمر في حضن السماء والنجوم مبعثرة تضيء الكون بأشعتها الفضية الرائعة. قال بيتر مأخوذاً:

- ما اروعه من منظر.

ردت ساري:

- تمتع يا بيتر، فالهواء النقي والنجوم اشياء يحرم منها اهل المدن الكبيرة.

جلست ليا الى جانب بليك في السيارة بعد ان دفعت ساري الى الوراء مع سكوتي وزوجها. علقت قائلة:

- نجوم براقة فعلاً تشبه قطعاً كبيرة من الماس.

تدخل زوج سكوتي قائلاً:

- تبدين عاطفية يا ليا. منظر القمر والنجوم هنا يختلف فعلاً عن اي مكان اخر.

قالت ليا بصوت رقيق:

- كل شيء رائع في مالبارا... مملكة عائلة ميريديث.

كان بليك مشغول البال بأشياء اخرى فلم يعلق على ما سمعه، لكنه لاحظ عبوس ساري في المرآة، فأشرق وجهه بنور ابتسامة خاطفة.

فكر بيتر والغيرة تنهش قلبه: (لماذا اغار من السيد ميريديث؟ من هو بالنسبة لساري؟). ثم انتهز فرصة سكون الليل واحتضن يد ساري. لاحظت سكوتي ذلك فتجاهلت الوضع تاركة مجال التصرف مفتوحاً امام ساري.

لم تعترض ساري على ما فعله بيتر مما شجعه على طرح موضوع الخطبة. اختطفته افكاره من جديد: (ساري خطيبة رائعة، لكن عدم اعتيادها على العمل خارج المنزل مشكلة، ينسيني اياها جمالها وفتنتها). واسترخى بيتر قليلاً قبل ان يعود الى عالم افكاره: (ساري تكره بليك، وهذا سلاح قوي في يدي، لكنها عنيدة وشرسة في بعض الاحيان، ويمكنها فرض رغباتها حتى على المسؤول عنها...).

ومزقت سكون الليل اصوات حزينة خافتة فتساءل بيتر عن مصدرها خائفاً:

- ما هذا؟

اجابته ساري:

- انها اصوات الموسيقى القديمة يستعملها اهل البلاد الأصليين. الم تسمع هذه الأصوات من قبل؟

- لا . . . لكني سأتذكرها من الآن فصاعداً.
قالت سكوتي:
- تسحرني مثل هذه الآلات، لأنها تستمد اصالتها من اصالة اهل البلاد الذين يرقصون ببراعة ايضاً.
تدخل بليك:
- انها قبائل لها معتقداتها وعاداتها وتقاليدها وصفاتها التي تميزها. ويعود تاريخ تواجدها في هذه المناطق الى اثني عشرة الف سنة مضت. ومعظمهم من السود.
قالت ليا بحماس:
- انت شديد السمرة يا بليك.
فضحكت ساري:
- يا لها من ملاحظة شيقة!
حاولت ليا تسويغ ملاحظتها:
- يا الهي ! انتم تعرفون ما اعني. اقصد اني احب الفرق بين لون عيني بليك ولون بشرته الداكن. توقفي عن الضحك يا ساري اذا سمحت.
اعترض بيتر:
- افضل سماع ضحكاتها على سماع ذلك الصوت المزعج مرة اخرى.
اجابته ساري:
- انها مجرد معزوفة. ما بالك مشدود الأعصاب؟
- من اين تأتي الأصوات؟
- من مخيم قريب. الا تشعر بالقوة البدائية للمنطقة؟
- اشعر بقوتك فقط وذلك يكفيني.

واخترق الظلام صوت قوي آخر، اخاف ركاب السيارة فقالت ساري:
- انها اصوات الكلاب البرية الاسترالية المتوحشة، وهذه طريقة ينادي بها بعضهم بعضاً، وتقع مغاورهم في الهضاب الحجرية. لقد طارد بليك واحداً منهم لمدة سنتين قبل ان يستطيع قتله.
قال بليك:
- نعم . . . لا زلت اذكر دال، وذلك الكلب المتوحش الذي لم يكن يخاف الحيوان او الانسان.
قالت ليا:
- حتى عواؤهم فيه تعطش للدم.
واقتربت السيارة من التلال الرملية يحاصرها السكون، والمعزوفات القديمة، وعواء الكلاب البرية. اثارت منطقة البحيرة وما يحيط بها من كثبان رملية خوف بيتر على الرغم من جمالها، لكنه خجل من الاعتراف بذلك امام عائلة ميريديث التي كانت تعتبر المنطقة مصدر حماية وقوة. وكان حتى شرب الماء ممنوعاً من جداولها.
عادت سكوتي بذكرياتها الى الوراء:
- كانت لنا مهرجانات حلوة في هذا المكان.
فوضع بليك يده على كتف ساري مجيباً:
- اتذكرين المهرجان الأول؟ كان مغامرة حقيقية.
- لم انم اسبوعاً بكامله بعد المهرجان.
- تأثرت كثيراً في تلك الفترة كما هي عادتك.
- كان العرض مأساوياً: زحف، طعن، وحركات جميلة بالايدي.
- هذا لا يعني انك لم تخافي.

غضبت ساري:

ـ اخافتني الرقصات الغريبة فقط. ارجوك توقف عن اخافتي.

ـ لا اجرؤ على اخافتك، خاصة في يوم عيدك.

ـ انك تجبر نفسك اذن.

اوقفت سكوتي النقاش بقولها:

ـ تذكرا ان رحلتنا للمتعة.

قالت ليا:

ـ اتمنى حضور مهرجان ليلي.

كانت رؤية ماليارا ليلاً تدخل ضمن نطاق احلام ليا الخاصة. (افضل وجودي وحدي ولكن لا بأس، لا يزال امامي اسبوع كامل لجعل الحلم حقيقة. ان وجود ساري يجعل الأمور اصعب، لانها جميلة كالحلم). تعثرت ليا في خطوها، فمد بليك ذراعه لمساعدتها، لكن انظاره بقيت معلقة بخطوات ساري وكأنها شيء ثمين يخاف عليه من الضياع.

صرخ بليك منبهاً ساري:

ـ اياك والصعود الى هناك، انه خطر.

اجابته:

ـ لا يهمني ذلك.

قالت سكوتي خائفة:

ـ انتبه يا بليك، فأنت المسؤول عن ساري.

ـ لا اعرف اذا كان ذلك من حسن حظي!

قالت ساري من بعيد:

ـ لقد سمعتك.

قال شون:

ـ هيا بنا نعود، ان ساري فتاة طائشة.

وقفت ساري على صخرة عالية ونور القمر يغمرها. تعالت ضربات قلب بيتر بينما بقي بليك متماسكاً وهو يقول:

ـ اتمنى احياناً ضربك مثل الأطفال. انزلي حالاً.

ـ كأنني على علو اربعة طوابق!

ـ قد تتفتت هذه الصخرة في اية لحظة. متى ستتحولين من طفلة الى امرأة يا ساري؟

ـ انا امرأة يا سيدي.

صرخت سكوتي:

ـ انتبهي يا ساري، ارجوك.

صرخ بليك:

ـ لآخر مرة، آمرك بالنزول حالاً.

ـ حسناً، سأقفز اذن.

ـ لا اتصورك جادة فيما تقولين.

ـ لا تتركني اسقط.

ـ انت متهورة.

قفزت ساري صارخة:

ـ بليك..

استولى الخوف على بيتر فوقف في مكانه مشدوهاً: (لا شك ان بليك اعتاد جنون ساري، وها هو يتحرك ليتلقاها بسرعة ومرونة وقوة دون ان يؤثر الحادث في اعصابه الفولاذية. فلا خوف عليها من اي خطر وهي معه).

سقطت ساري بين ذراعي بليك والخوف يتراقص في عينيها. سألها:

- ما الذي دفعك لمثل هذه التصرفات؟
- انت الدافع الأكبر، وقد اثبتت لي هذه الحادثة اشياء كنت لا ازال اشك فيها.
- وما الذي اثبته لك الحادثة؟
- انك موجود دائماً لمساعدتي.
- يجب ان تتوقفي عن مثل هذه التصرفات المجنونة. فنحن لسنا في مجال تحد.
- بل انا كذلك. ثم لا تغضب، فأنا ما زلت حية ارزق.
اسرعت سكوتي اليها قائلة:
- عزيزتي، انت تتصرفين تصرفات خطرة احياناً.
- كان ما فعله استجابة لمشاعري واحاسيسي.
هنأها شون:
- كان عملك رائعاً يا عزيزتي. ستكونين زوجة ممتازة في يوم من الأيام.
- انا لن اتزوج ابداً.
- قال بيتر:
- انا اغبط من ستختاره ساري.
قاطعته ساري:
- بل قل من سيختاره بليك لي، لأنه المسيطر على كل ما يخص العائلة.
- لكنك تتدبرين امرك عادة.
اقلق ليا وضع ساري مع بليك، فحاولت اخفاء ارتباكها بابتسامة قبل ان تقول:
- يجب ان تشكري بليك على ما فعله. فقد كان تصرفك طائشاً.

- فكرة ممتازة يا ليا.
واحاطت ساري بليك بذراعيها قبل ان تسمعه يسأل:
- هل هذا كل شيء!
- نعم، هذا يكفي.
- لقد اقتربت من خط النهاية يا ساري.
- ماذا تعني بذلك؟
- اعني حصولك على نتائج غير متوقعة لتصرفاتك.
- لذلك يجب ان ابقى هنا.
- هيا بنا نكمل الاحتفال بالعيد.
- وماذا بعد ذلك يا بليك؟
- اتمنى بعد ذلك ان تتحملي نتائج اعمالك.
- انت غامض.
- اعرف هذا.
قاطعتهما ليا قائلة:
- ماذا حدث لكما؟
اجابتها سكوتي:
- يحدث هذا كلما اجتمعا.
واكد شون:
- شجارهما دائم.
قال بليك:
- شجارنا دائماً لصالحي، لأني لا ابالي بمشاكل ساري الصغيرة والله وحده، يعلم لماذا. لكن لا تهتمي يا ساري، فنحن نحبك وما دمت تنذرينني مسبقاً، فأؤكد لك ان كل شيء بيننا سيكون على ما يرام.

شعرت ليا وكأن ساري جزء لا يتجزأ من بليك. ازعجها شعورها: (هناك رابط قوي يربط بينهما على الرغم من كل المشاحنات. انها تعتمد عليه كليا. هذا شيء مقرف!). تطلعت نحو اخيها فشعرت انه يفكر بالطريقة نفسها. قالت لساري:

- كنت صاحبة الحيل والالاعيب منذ كنا في المدرسة. ومن الغريب انك لم تطردي يوماً!

ردت ساري:

- لم اكن سيئة الى هذا الحد.

- اتحبين ان اذكرك ببعض الحوادث؟

قاطعها بليك:

- هذا يكفي. هل استمتعتم بالنزهة؟ سأريكم الآن عرضاً سينمائياً صورناه اثناء رحلتنا الأخيرة الى المنطقة. لكن منظر التماسيح فيه مزعج جداً.

تحمس شون:

- سيكون ذلك رائعاً. وهل هناك اشياء اخرى في المهرجان الى جانب الألعاب؟

- انا مشغول الآن عن التفكير بشيء آخر، لكنك قد تساعدني.

- أبي على اتم استعداد لذلك لكن اعطني وقتاً كافياً لترتيب بعض الأشياء في البيت. هل لديك عرض عن الجاموس البري؟

- لدي الكثير من ذلك يا شون.

- عظيم، ماذا ننتظر اذن؟ هيا بنا يا سكوتي. اعتقد انك تتقن فنون الرماية يا سيد بيتر، أليس كذلك؟

اعترف بيتر:

- مواهبي محدودة في هذا المجال.

شجعه شون:

- من يعيش هنا يجب ان يتعلم الصيد لأن ضفاف البحيرات مليئة بالطيور البرية. وافضل معلم في هذا المجال هو بليك.

صاح بيتر وقد بدأت مراحل الغضب تغلي في داخله:

- احقاً ما تقول!

غمرته امواج الكآبة: (كنت متأكداً من ان ساري ستكون سعيدة بمغادرة مالبارا، لكني اشعر الآن وكأنها مشدودة بسلاسل الى السيد ميريديث).

وحين ركبوا السيارة كانت الأفكار نفسها تشتعل في رأس ليا، لكنها نجحت في السيطرة على اعصابها: (لم اتوقع ان تصبح ساري عدوتي عندما اتيت الى مالبارا. لا يمكن ان يكون ما اشعر به صحيحاً. لكن وجه ساري يفضح مشاعرها. لا شك انها تحب بليك رغم مقاومتها له). صدمتها الحقيقة واغرقتها في دنيا الأفكار اكثر: (كرهت ساري بليك سنيناً طويلة لأنه يمثل بقوته واستبداده ما تكره في الرجل. لكنها الآن تحبه وتريده لنفسها. صحيح انه لا وجود للصداقة بوجود رجل! في الواقع يعجبني بليك والحق لو استطيع الخلاص من منافسة ساري. لكنه سيكون دائماً واقفاً بالمرصاد لحمايتها، لذلك يجب ان اكون يقظة حذرة، لأن ساري عنيدة، متسرعة، وسأحاول ترتيب خطة مع بيتر).

استرخت ساري في سريرها وراحت تتأمل ارجاء غرفتها الحلوة. كان القلق يتلاعب بها ومنع النوم من مداعبة اجفانها. فكرت في بليك: (رفضت بليك كثيراً في الماضي، لكن بعد تلك الليلة اشعر اني اريد الوصول الى قلبه بأية طريقة. سيظل ينظر الي نظرته الى اية مراهقة، لكني تغيرت. اصبحت انسانة تحب بكل مشاعرها

واحاسيسها، وتتمنى الوصول الى من تحب).
فتحت نافذتها واخذت تتأمل الليل بكل عظمته وجماله وسكونه.
داعب النسيم العليل وجهها وكأنه يحاول مساعدتها في السيطرة على احاسيس جديدة بدأت تغزو كيانها: (بليك هو حبي الأول والأخير رغم ان هذا الحب لم يخطر يوماً على بال احد).
شق خيال بليك تحت نافذتها كبد الظلام، فانسحبت واغلقت النافذة خجلة وكأنه عرف ما تفكر فيه. ضمت يديها الى صدرها في وجل فاكتشفت فقدها للخاتم الثمين، هدية العمة اثيا تقديراً منها لعناية ساري بها طوال فترة مرضها. حاولت ان تتذكر متى كان في اصبعها: (لقد كان في اصبعي اليوم اثناء الوليمة، وقد ابدت ليا اعجابها به، على الرغم من انها لم تكن معجبة بما يجري حولها. لقد تزعزع بنيان صداقتنا بسبب بليك الذي لم يخف اعجابه به على احد. علي ان اجد الخاتم، وان اتذكر اين وضعته اخر مرة، فقد يزعج ضياعه العمة العزيزة).
تركت غرفتها ونزلت الدرجات بسرعة فوجدت غرفة الجلوس مضاءة، مما اكد لها ان بليك لا زال مستيقظاً. ترددت قليلاً في الدخول لكنها استجمعت اطراف شجاعتها ودخلت الغرفة على امل ان يساعدها في العثور على الخاتم، ومن ثم تعود الى غرفتها وكأن شيئاً لم يكن. لم تجد احداً في غرفة الجلوس فتسللت بخفة الى غرفة الطعام ونادت:
ـ بليك . . . هل انت هنا؟
ـ نعم، لماذا لم تنامي حتى الآن؟
ـ انا لا انام في ليلة عيد ميلادي.
ـ اذكر ذلك.

اخذت خطوة الى الامام وهي تقول:
ـ اين انت؟ وماذا تفعل؟
ـ اشرب كوب من الحليب. هل تريدين مشاركتي؟
ـ لا، شكراً.
ـ آسف لرفضك، لأني بحاجة الى من يشاركني هذه اللحظات.
ـ لماذا لا تضيء انوار الغرفة؟
ـ ولماذا؟
ـ لكي نرى بعضنا بوضوح.
ـ استطيع ان اراك.
ـ انت الأفضل في كل الأمور يا بليك. يا لك من رجل.
امسك بيدها قائلاً:
ـ ماذا اتيت تفعلين هنا؟
اضاء الغرفة فجأة، وتركها تتأمل استرخاءه، في جلسته قبل ان يقول:
ـ لم تجيبي على سؤالي؟
ـ لقد اضعت خاتم العمة اثيا، بل قل اخفيته في مكان امين نسيته.
ـ انه معي، وسأحتفظ به حتى يتم اصلاحه، لأنه واسع على اصبعك.
ـ انك لا شك تتصورني مهملة.
ـ لم اقل شيئاً من هذا. انما اريد اصلاحه فقط.
ـ اعرف رأيك بي مسبقاً. لكني احمد الله انك وجدته. كنت قلقة.
ـ لكنك الآن حسب اعتقادي في حالة استرخاء.

- لماذا تتوقع مني الكثير يا بليك؟
- الاجابة على مثل هذا السؤال ليست سهلة.
- كل شيء سهل بالنسبة لك.
- انت مخطئة يا صغيرتي. ما هو شعورك الآن وقد اصبحت في العشرين؟
- لن انجرف معك في الاستهزاء.
- انا لا اسخر، لكني اريد جواباً صادقاً. تعالي نتكلم في غرفة المطالعة.
- هل هذا تحد؟
- نعم، هو كذلك.

اخذت نفساً عميقاً قبل ان تقول:

- حسناً، سآتي معك. لكن هل الخاتم عندك حقاً؟
- اتريدين رؤيته؟ انه في جيب سترتي.
- لا حاجة لذلك. لقد بدأت اشعر بالتحسن.

ضحك قائلاً:

- لا اشك في ذلك.

فاستولى عليها الخجل:

- الوقت متأخر.
- لم تعودي طفلة!
- لكن مشاعري مشاعر طفلة.
- لن اؤذي مشاعرك يا سيلين. صدقيني.
- واذا اردتك انا ان تؤذيها؟
- لن افعل ذلك ابداً، لأني المسؤول عنك.
- ماذا تعني بكلمة المسؤول عني؟

- اعني بها اشياء كثيرة تعرفينها كلها.

جلست على الاريكة قبل ان تقول له:

- آسفة يا بليك. لقد كنت دائماً رائعاً في معاملتك لي.
- ما اسعدني بهذا الاعتراف.
- قد يصعب عليك تصديق ما سأقوله، لكني احبك.
- انت لا تعرفين للحب معنى.
- اعرف ان الحب مقلق للراحة.
- وماذا ايضاً؟
- وقد يجر الانسان الى الجنون.
- وخاصة بعد منتصف الليل! اقتربي مني يا ساري.

خطت نحوه خطوة وكأنها تطيع امراً. ضمها اليه بقوة وهو يقول:

- هل هذه طريقة جديدة من طرقك لاستمالتي؟
- لا افهم ما تعني.
- بل تفهمين ما اعني تماماً.

غضبت:

- اني لا استجديك لفعل اي شيء، لماذا انت قاس الى هذا الحد؟
- لا حاجة بك للاستجداء.

حاولت التملص من قبضته قائلة:

- ابتعد عني والا صرخت.
- الا تستطيعين فعل شيء افضل من هذا؟ كفاك تلاعباً بالعواطف، لقد كنت اهتم بك دائماً.
- انا لا افهمك ابداً.
- لا يهم... سنفكر بالتفاصيل فيها بعد.

وازدادت شدة قبضته قبل ان يسمعها تقول:

- انا لا اعرفك بهذا المزاج يا بليك.
- لكنك اعترفت بحبك لي.
- ابق مشاعري نحوك سرية اذا سمحت.
- ستبقى سرية بالتأكيد، لأني احبك ايضاً.

اسعد ساري اعتراف بليك، وشعرت ان حبها له حقيقة لا مجال لانكارها. اغرقها عالم افكارها: (لقد امتلكني بحبه، واصبح قدري الذي لا يمكنني التهرب منه).

تساءلت ساري:
- هل انا في حلم؟
- لا . . . لست في حلم. فانا ما زلت اضمك الى صدري.
- اتمنى البقاء على هذه الحال الى الأبد.

سألها ساخراً:
- ما رأيك بعيد ميلادك هذه السنة؟

تأملته قبل ان تقول:
- هل ستعود الى السخرية؟
- لا يمكنني فعل ذلك حتى لو اردت.
- باستطاعتك السخرية ممن حولك بسهولة.
- اني في الرابعة والثلاثين، ولا اسخر منك بل اعترف بحبي لك.
- ترفق بقلبي يا بليك.

قبل يدها قائلاً:
- احاول ان اكون دائماً رقيقاً في معاملتي لك لأنك كنزي الثمين.

ابتعدت عنه قليلاً بينما كان يقول:
- هل تريدينني ان اوصلك الى باب غرفتك؟
- لا حاجة لذلك.

- من يصدق انك كنت تكرهينني في يوم من الأيام؟
- انا لم اكرهك ابداً.
- هل تخافينني؟
- بعض الشيء.

قال غاضباً:
- لم تزل العقبات قائمة بيننا اذن. اذهبي الى النوم يا ساري.
- ما الذي تتوقعه مني؟
- حاولي ان تعرفي ذلك بنفسك.

قالت بحزن:
- انت تحيرني، اتمنى الهرب منك.
- لا تنسي ان الروابط بيننا قوية. ثم لماذا انت حزينة؟ فعندك ما يتمناه اي رجل.
- كل الرجال الا انت.

ادار ظهره وتركها لأفكارها: (كيف وصل الى هذا الحد من السيطرة علي؟).

قالت له بحزم:
- ستندم على هذا يوماً.
- كل شيء جائز في لعبة الحب والحرب يا ساري، وقد نجحت في الفصل الأول من تمثيلية حبك لي. ارجو منك ترك الغرفة.

تلاعب الغضب بها:
- سأعتبر وكأن شيئاً لم يكن.
- هذا افضل.
- هكذا اذن! تأكد اني سأنساك في المستقبل.

وضربته تحت تأثير الغضب بكتاب تلقفه قائلاً:

ـ أنا مختص بالتقاط ما ترميني به.

ـ لكنك لست اختصاصياً في معاملتي.

قال بعنف:

ـ احذرك من ترديد مثل هذه الأقاويل.

اغرورقت عيناها بالدموع قبل أن تقول:

ـ لا تهددني.

واسرعت تغادر الغرفة وصدى ضحكاته الساخرة يلاحقها.

٦ - حيث تشرق الشمس

دارت عجلة الأيام، وتحولت ساري الى فتاة عصبية المزاج، تلسع بنار ثوراتها كل من حولها. ولكن بلبك بقي الانسان الوحيد الذي يستطيع كبح جماحها.

لاحظت العمة ألثيا تغير ساري وخاصة مع بلبك، فآلمها ذلك. وازعجها ان تنسى الفتاة فضل بلبك عليها، اذ انقذها من مصير قاتم كان ينتظرها بسبب امها التي طمعت بثروة العائلة، وحاولت ابتزاز جزء منها دون جدوى. فتزوجت شاباً يصغرها بعشرة اعوام متذرعة بحاجتها لمعيل.

بعدها انتشلت الأسرة ساري من بئر الحرمان، واحبتها العمة ألثيا حباً جماً لما تتحلى به من اخلاق حميدة، وما هي عليه من اتزان. ولك

اتبه العم هادو لتبدل ساري، تمنى على بليك تقويم اعوجاجها، لكن سيد القطعان كان مشغولاً بمسؤولياته طوال ايام المزاد.

لم تفرح العمة الثيا عندما قرر افراد عائلة شلتون البقاء، لانها لم تستلطف بيتر على الرغم من وسامته، ولا شقيقته ليا التي كانت الغيرة من ساري تنهش قلبها، وتدفعها الى محاولة تمزيق اواصر المحبة بينها وبين اسرتها.

فكرت العمة الثيا بطريقة تعاقب بها ساري على سوء معاملتها لبليك، فوجدت ان كلام جستين معها افضل وسيلة، ليفهمها من ان ساري تحاول الهرب من عواطف متضاربة لم يثرها بيتر شلتون حتماً. وعليها هي ان تكتشف السبب بنفسها، علّه يساعدها في تفهم السبب الأعمق لانقلاب ساري المفاجىء. اختطفها من افكارها وقع اقدام قريبة، فمالت برأسها قائلة:

- اهلاً بك يا عزيزتي.

ودخلت ساري بملابس انيقة وبسيطة، وانحنت تقبل العمة قائلة:

- آسفة لاهمالي لك هذه الأيام. لكني احاول تسلية اصدقائي.
- هل هم اصدقاؤك فعلاً؟
- لا تتكلمي بهذه الطريقة، ارجوك يا عمتي.
- ماذا يعني هذا؟
- انا احب الصراحة.
- انت دائماً صريحة.
- ربما اكثر من اللازم، لان من الأفضل على الانسان ان يبقى غامضاً.
- ساري... ماذا بك؟ لقد تغيرت كثيراً.

- لا شيء... امر بفترة عصبية ستزول. دعيني اصب لك فنجاناً آخراً من الشاي.
- ألن تشربي معي؟

تحركت ساري بخفة نحو غرفة الطعام وهي تقول:

- ساحضر فنجاناً.

وعادت العمة الى افكارها: (في يوم من الأيام، اكد بليك ان ما يصدر عن ساري من تصرفات خاطئة هو نتيجة للتعويض العاطفي الذي تمنحه لها منذ اتت الى هنا. يومها اسكته هادو واكد له انه السبب الأول والأخير في افساد الصبية).

التزمت ساري الصمت وهي تصب الشاي، ثم جلست قبل ان تقول:

- جئتك يا عمتي طلباً للنصيحة.
- خير ان شاء الله.
- طلب بيتر الزواج مني.
- رحماك يا رب! يخيفني مستقبلك معه.
- لانك لا تحبينه... اليس كذلك؟
- صغيرتي... ارجوك.
- لن اغضب، لا تخافي، فأنا اعرف انك وسكوتي لا تحبان ليا، وستأثر جستين برأيكما.
- تعطي جستين رأيها بصراحة دائماً، وستستغرب توتر العلاقات بينك وبين بليك.

كاد الفنجان يتحطم في يد ساري لدى سماعها اسم بليك، فحذرتها العمة:

- احذري يا عزيزتي، فهذه الفناجين لا تستعمل الا في

المناسبات.
- لم اكسر اي شيء. اطمئني.
- ما يخيفني هو توتر علاقتك مع بليك.
- هذا التوتر ليس جديداً عليك.
- لم تصل الأمور بينكما يوماً الى هذه الدرجة. كما انه يعاملك بشكل يتنافى مع طبيعته. اشعر ان معاملتك له تفرحك وتؤلمك في نفس الوقت.
- لكن بليك غير مهتم بأي شيء.
- لا تغالطي نفسك. ان المسؤوليات تثقل كاهله، وانت لا ترحمين ظروفه.
- لكني لا اراه الا لماماً هذه الأيام.
- تظهر الحرب الباردة بينكما اثناء العشاء.
- انا آسفة لذلك.
- انا وهلدو لا نصغي الا لما نريد سماعه وخاصة اثناء العشاء، لكني اريد معرفة ما يجري.
- السبب في كل ما يجري هو بليك. انه لا يكلف نفسه حتى عناء ابتسامة.
- وهل اعطيته انت فرصة حقيقية للابتسام؟ بليك رجل قوي، جاد في عمله، وصديقتك تحوم حوله.
ضحكت ساري:
- ستعود ليا الى بيتها قريباً، ولا فائدة تُرجى من الحديث عنها. سيزول ما بيننا من عداء حالما اتزوج اخاها.
- لم تكن ليا صديقتك يوماً.
- قد تكونين على حق. لكني اعرف من هم اصدقائي.

- صديقك الوحيد هو بليك.
- انت مخطئة. هو عدوي وليس صديقاً.
- اتحداك في ذلك يا عزيزتي.
تنهدت ساري:
- ان لبليك طريقته مع النساء، ولكن هل معنى ذلك انك تعارضين فكرة زواجي من بيتر؟
- انا لا اعارضها فقط وانما ارى الا تشغلي نفسك بالتفكير فيها ايضاً.
- لكنه جاد في عرضه.
- ولم لا يكون جاداً وعندك ما يتمنى اي رجل، بالاضافة الى اسم العائلة؟
- الحق معك، فأنا احس ان بيتر لا يحبني لشخصي.
- لماذا تصرين اذن على الزواج منه؟
- وهل يوجد غيره؟
- لا تدّعي الغباء يا ساري.
- بل انا غبية وعنيدة. يا الهي . . . لقد تأخرت عن موعدي آسفة لتأخري يا بيتر.
اعتذرت ساري لبيتر عن تأخرها عندما دخل عليهما وسيماً، انيق الملبس، وحيّا السيدة ميريديث بأدب:
- صباح الخير يا سيدتي. سأسامح ساري على تأخرها ما دامت هنا معك.
- هذا لطف منك يا بيتر. الى اين ستذهبان اليوم؟
اجابتها ساري:
- سنذهب الى وادي آبا لرؤية الجداول الرقراقة ومعارض الفن

المحل فيه.

- هل تحب الرسوم على جدران الكهوف يا بيتر؟
- قد احبها في المستقبل يا سيدتي.
- انها تستحق المشاهدة. هل ستكون شقيقتك معكما؟
- كلا، لديها برامجها الخاصة.

سألت العمة ساري:

- هل ستكون نزهتكما على ظهور الجياد؟
- لا يحب بيتر ركوب الخيل. لذلك سنستقل السيارة.
- سأخبر بليك اذن.
- افعلي ذلك.

قالتها ساري بمرارة.

غضبت العمة من نبرات صوتها فقالت:

- سأخبره، لأنه المسؤول عنا وتهمه سلامتنا جميعاً.

عانقتها ساري قائلة.

- لا تظني بي السوء. اعرف اننا لا نساوي شيئاً اذا ما قورنا ببليك. سأقرأ لك هذا المساء.
- افعلي، فأنا احب سماع صوتك. ارجوك يا ساري تمالكي نفسك وراء المقود. سأراك قريبا بعد يا بيتر، اليس كذلك؟
- طبعاً يا سيدتي.

احتوت الأفكار بيتر من جديد وهو في السيارة مع ساري:

(استغرب تحفظ ساري في معاملتي، واعرف ان بليك يتجاهل لبا تماماً. لكني عندما صارحت لبا بشكوكي وملاحظاتي احرقتني بسعير غضبها، ففضلت الصمت).

اخرجته ساري من عالم افكاره بابتسامة رائعة جعلت الدم يغلي في

عروقه: (ساري رائعة الجمال، لكنها تعاملني ببرود لا افهم له سبباً. لقد ضممتها الى صدري في اكثر من مناسبة، لكني لم اشعر بتجاوبها وهذا ما يحيرني).

وارجعه صوت ساري الى دنيا الواقع:

- ماذا بك يا بيتر؟
- اني حائر، غاضب.
- ما السبب؟
- ترفقي بي يا ساري. لقد طلبتك للزواج...

قاطعته:

- وقد رفضت طلبك.
- لكنك في يوم من الأيام اعطيتني الأمل.
- لقد اسأت فهمي يا بيتر.
- لماذا ترفضين حبي؟
- تقصد حب التملك عندك؟
- وهل هناك فرق بين الاثنين؟
- الفرق كبير، طبعاً.
- اراك سخيفة.
- لست اراني بالسخافة التي تتصورها، لكل امرأة عواطفها. والرجل الذي تحب هو الذي يستطيع التحكم بهذه العواطف.
- اوقفي السيارة، ارجوك.
- لكننا لم نصل الى المكان المحدد بعد.
- اريد ان امتع ناظري بالأزهار المنتشرة في هذه البقعة الجميلة.

اوقفت ساري السيارة، وانضمت الى بيتر في جلسته بين الأزهار وهي تقول:

- انتبه... بعض الأزهار هنا ذات براعم واخزة.
احتضن يدها:
- لن يكون وخزها مؤلماً اكثر منك.
تطلعت اليه باستغراب متسائلة:
- ماذا تقول؟
- هل اخطأت التصرف؟
- لا.
- هل تعجلت الأمور؟
- لا.
- ما الذي حصل بيننا اذن؟ اظن ان من حقي ان اعرف. كان كل شيء يسير على ما يرام في ادليد. هل رفضتني بليك؟
- لا تهمني موافقة بليك مطلقاً.
- لا تخدعي نفسك. بليك هو صاحب التأثير الأكبر في حياتك. لكنك الآن في العشرين من عمرك، ومن حقك ان تختاري طريقك بنفسك. فتعالي معي وتخلصي من سيطرته، ولا تنسي انه مجرد راعي بقر...
- ليس بليك مجرد راعي بقر. انه انسان جاد في عمله. دعنا نغير الموضوع.
- لكني لا احب المشاعر التي يثيرها فيك.
- اذهب الى الجحيم!
جذبها من ذراعها بعنف آلمها لكنها اعتذرت قائلة:
- اسفة يا بيتر. انا لم اقصد ايلامك.
هدأت ثورة غضبه:
- ما اجملك، دعيني اضمك الى صدري، ارجوك.

ضمها الى صدره بقوة ذكرتها بما حدث لها ليلة عيدها مع بليك، فعذبتها مشاعرها التي اصبحت حجر عثرة في طريق انسجامها مع بيتر.
ابتعدت عنه قائلة:
- حاول ان تفهمني يا بيتر. ليس عندي ما يمكن ان اهبه لك.
تأملها بيتر قبل ان يقول:
- انت مثل السراب في الصحراء يا ساري، جميلة لكنك لا تنتمين للواقع. انك لا تعرفين حتى معنى الحب.
- لا بل اعرفه بكل معانيه!
- توقعت جواباً كهذا.
- لا تتدخل فيما لا يعنيك يا بيتر.
- كنت مخطئاً حين تصورتك ذات قلب خال مستعد للحب. هيا بنا نعود الى البيت.
قالت بصوت ناعم:
- انا اسفة حقاً. دعنا نتمتع بأوقاتنا كصديقين.
- لك ما تريدين. لكنني ما زلت اعتقد انه من الأفضل لك ترك ماليارا.
- لا اعتقد ذلك. هيا بنا نعود الى السيارة. هل تعرف اصول القيادة؟
- نعم، لكن هذا المكان موحش.
- كيف يكون موحشاً مع كل هذه العصافير والأزهار؟
- معك حق.
تأملت ساري ما حولها بحب: (مساحات واسعة تغطيها رمال حمراء ناعمة، وتوشيها ازهار مختلفة الأشكال والألوان، بينما العصافير

تتراقص في السماء فرحة بدفء الشمس).

قاد بيتر السيارة نحو الوادي وهو يقول:

- مظاهر القسوة واضحة في المنطقة. هل الثعابين منتشرة فيها؟
- تأمل الدغل امامنا.
- لم تجيبي على سؤالي.
- نعم، توجد ثعابين ولكنها غير سامة.
- اشكرك على التشجيع.
- لم يؤذني ثعبان في هذه المناطق من قبل.
- لا يكفي كلامك لتطميني.
- علينا ان نذهب الى الكهوف سيراً على الأقدام اذا كنت تريد رؤيتها.
- تذرعت برؤية الكهوف لابقى معك. لكني، في الحقيقة، ابن المدينة.
- انك تضيع فرصة ذهبية لرؤية شواهد تاريخية.
- شواهد لتاريخ بربري بلا شك.
- ما اغباك!
- بدأت اعصابي تتوتر.
- لا تخف. ليس هناك اي خطر عليك.
- الشمس محرقة.
- احتم بظلال الأشجار المزهرة هناك.
- انها اشجار وارفة الظلال فعلاً. حتى السراب رائع هنا.
- سأتسلق الصخور لأستكشف منطقة البحيرات. ابق انت في الظل.
- لكني اخاف الثعابين.

- يذكرني خوفك برسم لثعبان وقوس قزح ضخم في احد الكهوف.
- يظهر انك تعرفين كل شيء في هذه المناطق.
- انها استراليا الحقيقية.
- لكني ابقى ابن المدينة.
- سأعطيك اشارة لتتبعني عندما اجد البحيرات. لن اتأخر.

تركت ساري بيتر مع افكاره: (يجب ان اخلص ساري من تأثير السيد ميريديث. صحيح انها تحب المنطقة بجمالها وسهولها، لكنها ستكون سيدة مجتمع رائعة في المدينة).

انتابه القلق عندما تأخرت ساري في اعطائه الاشارة المتفق عليها. فناداها، وعندما لم يتلق جوابا ازداد قلقه، فتسلق الصخور ليجدها وجهاً لوجه امام حصان متوحش رمادي اللون. اقعده الخوف عن فعل اي شيء فصرخ:

- يا الهي!

وحاول التفكير بطريقة لانقاذ ساري: (ماذا افعل؟ لم اكن في يوم من الأيام خبيراً بمعاملة الجياد البرية. واي تصرف خاطىء مني سيكون خطراً على ساري. يجب علي ان اعود الى البيت لطلب النجدة).

راقت له الفكرة، فترك ساري تواجه الحصان البري وحدها، ونزل مسرعاً الى السيارة، متناسياً حتى خوفه من الثعابين. كان صدى امل واحد يتردد في حناياه اثناء عودته بمفرده الى المنزل: (يجب ان اجد نيك، لأنه الوحيد الذي يستطيع التصرف في مثل هذه الحالات).

بقيت ساري وحدها هدفاً لجواد بري متوحش وقف امامها بكل

قوته وجبروته مستعداً للانقضاض في اية لحظة. تراقصت صورة بليك في مخيلتها ابان تلك الفترة الحرجة: (ليس بليك معي ليحميني من الخطر هذه المرة. واغلب الظن اني سأكون غداً في عداد الأموات. هل سيحزنه موتي يا ترى؟ يا الهي . . . اين انت يا بليك؟ ليتني اسمع صوتك القوي يرشدني الى ما يجب علي فعله).

وبدأت تكلم الجواد بصوتها الرقيق الناعم كما علمها بليك يوماً، علها ترسله بذلك الى دنيا الهدوء حتى يقضي الله امراً كان مفعولاً . . .

وصل بيتر الى المنزل اخيراً، ودخله دخول عاصفة هوجاء على واد مستكين، صارخاً:

- بليك.

استجاب بليك للنداء بسرعة متسائلاً:

- اين ساري؟

اجابه بيتر لاهثاً:

- تركتها مع حصان بري هاجها في وادي ابا، وجئت طالباً النجدة.

- كيف تتركها وحدها؟

- لم يكن باستطاعتي مساعدتها. اسرع ارجوك.

- يا لك من غبي!

تدخل مايك كونوي مراقب المزارع، ثمنع اصطدام الرجلين قائلاً:

- ساري بحاجة للمساعدة، ولا مجال للاشتباك الآن.

سيطر بليك على براكين غضبه قائلاً:

- اعطني بندقيتي يا مايك.

تساءل بيتر:

- ما الذي تنوي فعله؟

- سأقتله طبعاً. يا الهي! لا استطيع ان افهم كيف تركتها وحدها.

- كنت عاجزاً عن فعل اي شيء اخر.

قال مايك.

- اهدأ يا بليك.

- اين بندقيتي يا مايك؟

ثم خرجوا جميعاً الى السيارة، واتخذ بليك طريقه بسرعة نحو الوادي. سأل بيتر مايك:

- هل اخطأت التصرف؟

- ادع الله الا يكون الأمر كذلك، لأن غضب بليك براكين تحرق بحممها الأخضر واليابس، وخاصة اذا كان الأمر يتعلق بساري.

- اعتقد انه من الأفضل لي ان ارحل.

- لن يساعدك هذا. سألحق بليك بسيارة اخرى، ولا تقل شيئاً لأهل البيت حتى نعود. ثم تأمله قليلاً قبل ان يتابع: لقد خيبت امل بليك فيك يا بيتر!

رد بيتر اسفاً:

- لم اقصد ذلك ابداً. لا بد من رحيلي.

- كلا، ستنتظرنا حتى نعود. سيكون هذا بمثابة عقاب لك، وربما سيساعدك على معرفة نفسك اكثر.

واختفى مايك قبل ان يستطيع بيتر التفوه بكلمة.

عرف بليك معنى الخوف وهو يراقب ساري تقف في مواجهة الحصان البري بكل جبروته، فتحاول تشجيعها:

- استمري في محاولة تهدئته بصوتك يا عزيزتي. لا تخافي. انا هنا لحمايتك.

وانطلقت رصاصة من بندقيته لتصيب الهدف اصابة مباشرة، شعرت ساري بعدها وكأنها استيقظت من كابوس مزعج.

كادت تنهار لولا ان بليك احاطها بذراعيه متسائلاً:

- هل انت بخير؟ اخبريني، ما الذي حدث؟

لكن صوتها كان لا يزال اسير الخوف فبقيت صامتة، واصغت الى بليك يطمئنها:

- لقد انتهى كل شيء. لا تخافي.

- كنت قاب قوسين او ادنى من الموت. انا لم ار جواداً متوحشاً من قبل.

- ولن تريه بعد الآن ابداً.

- وماذا حدث لبيتر؟

- انهار امام المصاعب، وجاء يطلب النجدة.

- يا له من مسكين!

- انه مسكين فعلاً. واعتقد انه الآن يجمع حقائبه استعداداً للرحيل.

- هل وصل الأمر الى هذا الحد؟

- كان يجب علي ان احطمه لجبنه.

حاولت الابتسام:

- انت عنيف في كل تصرفاتك.

- الجأ الى العنف عندما يتعلق الأمر بك سواء من قريب او بعيد. كفاك ارتجافاً.

- ليس باستطاعتي السيطرة على نفسي.

- هيا بنا نعود الى البيت. سأساعدك للوصول الى السيارة شرط ان تقوديها.

- كفاك مزاحاً يا بليك. لا اعتقد ان باستطاعتي قيادة السيارة.

- كنت ستضطرين لذلك لو اني جرحت.

- انت مزيج انساني غريب: اخ، حبيب وطاغية.

- ايهم تفضلين؟

لاذت ساري بالصمت فكان صمتها ابلغ من الكلام كله. غاص بليك في بحر عينيها قبل ان يقول:

- من الأفضل لنا ان نعود الى المنزل.

- واذا لم نصل بالسلامة؟

- سنصل، اذا انتبهت للطريق.

ساعدها في الصعود الى السيارة، وبقي طوال الطريق يشجعها على الاستمرار في القيادة.

احست العمة اثيا بالجو المشحون على مائدة العشاء، فحاولت اخفاء قلقها بقولها:

- لماذا لا تأكلين يا ساري؟ ان صحتك في تدهور مستمر.

- لا اشعر بحاجة للأكل الليلة يا عمتي.

تدخل بليك قائلاً:

- لا تزعجيها باصرارك يا عمتي. ستكون احسن حالاً في الصباح.

تساءل العم هادو:

- ما الذي يحدث حولي الليلة؟

اجابته العمة:

- ترفض ساري ان تأكل.

تركت ساري المائدة مؤكدة:
- انا بخير، صدقوني.
ونهض بليك ليساعدها قائلاً:
- لكنك ضعيفة بعض الشيء.
- اشعر بالضعف فعلاً.
حملها بليك بين ذراعيه متخذاً طريقه الى غرفتها. وراقب بيتر وشقيقته ما يحدث بصمت، بينما كانت براثن الغضب والغيرة تعذب ليا وتنهش قلبها.
قال العم هادو لبليك:
- هذه هي المرة الأولى التي ارى فيها ساري ضعيفة بهذا الشكل. طمئنّا عليها فيما بعد.
قالت العمة الثيا:
- لقد اعتذر من الذر، وقد انذرتك في الماضي. على كل حال، الحق ان يكون في الأمر بعض المبالغة:
اكدت ساري:
- انا منهكة، هذا كل ما في الأمر.
فقال بليك:
- تحتاجين لبعض النوم والراحة.
مضى بليك بساري الى غرفتها، ونهضت العمة الثيا تريد اللحاق بها فمنعها زوجها قائلاً:
- لا داعي للحاق بها يا عزيزتي. اجلسي واكملي عشاءك. يستطيع بليك تدبير الأمور. الصبية مرهقة بعض الشيء، وهذا كل ما في الأمر، وتستطيعين الاطمئنان عنها فيما بعد.
- هناك عداء سافر بين شباب هذه الأيام والأكل!

- هذا صحيح.
قالها العم هادو وهو يعاود الجلوس الى المائدة محاولاً اشغال بيتر وشقيقته ليا بحديث شيق.
ساعدت الخادمة ميرا ساري في خلع ملابسها وهي تقول:
- لم يحدث لك هذا من قبل يا آنسة.
- لقد مررت بتجربة قاسية في الصباح.
- هل عرف السيد بليك بذلك؟
- نعم. اريد قميص النوم الأزرق.
- لكنه قديم!
- لا بأس به.
واسترخت ساري في فراشها قبل ان تسمع طرقات خفيفة على الباب:
- دعي السيد بليك يدخل يا ميرا.
- دخل بليك قائلاً:
- بعد ان اطمئن عليك، سأعود الى العشاء.
- لماذا لا تبقى معي قليلاً؟
- يجب ان تأخذي اكبر قسط من النوم والراحة.
- كان يومي متعباً بلا شك.
- لا تفكري بذلك الآن، وحاولي ان تنامي.
- لماذا تتعجل الأمور؟ انت تقسو علي بعض الشيء.
- مسكينة انت يا ساري.
واقترب منها ليعطيها بعض الحبوب المسكنة قائلاً:
- ستساعدك هذه الحبوب على النوم، وتخلصك من الكوابيس.
- شكراً لك.

خطا نحو الباب واطفأ ضوء الغرفة فخافت ساري من الظلام، وسرعان ما عاد اليها وضمها الى صدره محاولاً تهدئتها:

- لا داعي للخوف يا عزيزتي. لم يكن ما مررت به سوى حادث مر بسلام، والحمد لله.
- لا ترسل لي احداً ارجوك. اريد ان انام.
- اطمئني، لن اسمح لأحد ان يزعجك، اللهم الا العمة اليا.
- وجود العمة اليا لا يزعجني، وارجو الا اكون قد اخفتها.
- لقد اخفتها فعلاً، لكن العم هادو سيتدبر الأمر.
- العم هادو انسان رائع. لا بد انه كان يشبهك في شبابه.
- ساري. . . ما الذي تريدينه مني بالضبط؟
- لا شيء، اريد ان اشكرك فقط على انقاذك حياتي وان اتمنى لك احلاماً سعيدة.
- سأطمئن عليك قبل ان انام.
- ضمني الى صدرك يا بليك.
- ما زلت اذكر تلك الليلة التي ضممتك بها الى صدري طويلاً.
- ذكريات تلك الليلة حية في مخيلتي انا ايضاً.
- تصبحين على خير يا صغيرتي.
- انا لم اعد صغيرة.
- اعرف ذلك.
- تعرف ذلك وتصر على التلاعب بي! ضمني الى صدرك ارجوك.

اتجه نحو سريرها وضمها الى صدره بقوة قبل ان يسمعها تقول:

- اذا تخليت عني يا بليك فسأموت! اني احبك واريد ان اثبت لك حبي.

داعب باصابعه القوية الحانية خصلات شعرها قبل ان يقول:

- حتى اثبات الحب له وقته المناسب، فلا تقلقي. والآن يجب علي ان انزل لتناول العشاء. لقد تأخرت كثيراً.
- انت صاحب القرارات دائماً.
- وسيبقى الأمر على هذه الحال الى الأبد وحتى معك.
- لكنك لا تملكني!

ضحك قائلاً:

- هل انت واثقة مما تقولين؟
- انت مغرور!
- انا لست مغروراً وانما انا واثق من نفسي.
- حسناً. . . حسناً. سأحاول تقبل الأمور كما هي لأني اشعر بانك تحبني ايضاً.
- ستعرفين حقيقة مشاعري في الوقت المناسب.
- هل اعتبر ما تقوله لغزاً يجب علي حله؟
- انسي كل شيء الآن واتركي النوم يداعب اجفانك، فأنت بحاجة الى ما لا يقل عن عشر ساعات من الراحة التامة. تصبحين على خير يا عزيزتي.

طارت ساري بأجنحة النوم الى عالم الأحلام الذي يغمره غد سعيد، تشرق فيه شمس الحب على قلبها لتدفئه.

٧ ـ الجواب الأخير

أطل يوم المزاد الأخير بحفلته الراقصة، وفتحت ابواب قاعة الاحتفالات الرسمية الفخمة امام الموجودين.

كانت القاعة واسعة، تركت الفخامة آثارها في كل ركن من أركانها. وقفت جستين بكل فخر تتأمل الحياة وقد سرت في أرجاء القاعة الكبيرة التي شهدت زفافها وزفاف شقيقتها سكوتي وقد تشهد قريباً زفاف ساري.

جرت في هذه القاعة المترامية الأطراف احتفالات كثيرة في زمن جد العائلة الأكبر، ويلسي ميريديث، الذي كان يحب الحياة ويعرف كيف يتمتع بكل لحظة من لحظاتها. فكانت حفلاته دائماً حديث البلاد من اقصاها الى أقصاها.

مضت ايام مليئة بالعمل وبرامج التسلية التي كان لساري الفضل الأول في نجاحها. أما الحضور فقد كانوا من العائلات المعروفة التي اشتركت في المزاد. بالاضافة الى بعض اصحاب النفوذ من اصدقاء جستين وزوجها. كان تنظيم الحفل رائعاً. والموسيقى تصدح في انحاء المكان، فتزيد من روعة المناسبة التي لم تمنع حصول بعض الحوادث المؤسفة.

في صباح ذلك اليوم، حاول احد المغرورين ركوب ثور هائج. ولم يستطع بليك السيطرة عليه إلا بعد ان جرحت ذراعه، مما اضطر الدكتور ايرنشو الى إجراء عملية بسيطة لا يقاف النزيف. وقد تبين فيما بعد ان ليا هي التي تسببت في الحادث بشكل غير مباشر بقصد اخافة ساري التي وصلت الى مكان الحادث متأخرة، وكاد ان يغمى عليها عندما وجدت ذراع بليك غارقة بالدم. لكنه طمأنها انه جرح بسيط ولا مجال للقلق.

كان بليك قوي البنية، قوي الارادة، يمتلىء بالحيوية والنشاط، مما ترك له مكانة في قلب جستين فأخذت تتأمله بكل جوارحها وهو يراقص صديقتها الذكية الجميلة مادلين ريبورن التي تناسبه كزوجة أكثر من تاتيا تيت جونز ذات التصرفات غير الموزونة.

وأخافها تأثير اصابع لامست كتفها، فاستدارت لتجد سكوتي التي بادرتها بالقول:

ـ جاذبيتك الليلة لا تقاوم. تبدين رائعة يا عزيزتي جستين.

ـ شكراً لك. اعتقد ان كل من في الحفل يقضي وقتاً طيباً. حتى بليك، المتهور، المجروح.

ـ هو ليس متهوراً، لكن كان لا بد له من السيطرة على الثور.

ـ المهم انه بخير.

- بقي من آثار الحادث رضوض لا أكثر. من الجميلة التي ترقص معه؟

- صديقتي مادلين ريبورن.
- يعمل والدها في حقل السياسة، أليس كذلك؟
- نعم، وهو احد اكبر المتحمسين لكلايف.
فكرت سكولي بجواب ديبلوماسي:
- لا يضاهيك في جمالك الليلة إلا كلايف بوسامته.
تأملت جستين فستانها الأصفر قبل ان تقول:
- يناسبني اللون الأصفر كثيراً. هل ازداد وزنك بعض الشيء في الأونة الأخيرة يا سكولي؟
يجب عليك الانتباه لجمال قوامك.
أجابتها سكولي بحماس:
- يعود السبب في زيادة وزني الى اني حامل!
- وكم مضى على حملك؟
- ثلاثة اشهر.
- لماذا لم تخبريني من قبل؟
- انتظرت حتى تغلبت على مصاعب الأشهر الأولى.
- ما أحلاها من أخبار! سيحل طفلك ضيفاً جديداً على عائلة ميريديث.
- إنه ابن شون ايضا. هل فكرت يوما بالإنجاب؟
- الفكرة موجودة، لكن ليس عندي الوقت الكافي لتنفيذها.
- كفاك تأجيلا للموضوع.
- لا تخافي يا عزيزتي، لقد خططت لكل شيء.
- قد يكون انجابك افضل بالنسبة للإنتخابات.

- هل تعتقدين ذلك فعلا يا سكولي؟
لم تجب سكولي على السؤال لأنها كانت تراقب ساري:
- انظري، ها هي ساري قادمة بكل جمالها وأناقتها. يذكرني فستانها بفستان زفافي رغم اختلافهما الكلي. اللون الأبيض يناسبها دون شك.
أكدت جستين:
- ذوق ساري في اختيار ملابسها رائع. وهنا اسمح لنفسي ان اسألك: هل هناك مشاكل بين ساري وضيوفها من عائلة شلتون؟ صديقتها ليا تتعمد ايذاءها.
- ذلك لأن ليا تحب بليك.
- وما دخل الحب في الموضوع؟ أظن انها راحلة مع شقيقها بعد انتهاء الحفل مباشرة.
- سألت بليك، فأكد انها عائدان الى بيتهما غداً.
فرحت جستين:
- عظيم. لقد سرني رفض ساري لبيتر لأنها تستحق من هو افضل.
اندفعت سكولي قائلة:
- والأفضل موجود!
- عمنْ تتكلمين؟
- يريد البعض ان يبقى الموضوع سراً.
- هل هناك أسرار بيني وبينك؟
- تصورتك ذكية.
- انا ذكية فعلا، لكني مرهقة. على كل حال انا سعيدة جداً بأخبار طفلك القادم. والآن اعذريني، فكلايف يشير اليّ.

- لم انتبه لاشارته.

- اتفقنا على إشارات بسيطة بيننا.

ضحكت سكوتي ووقفت تتأمل ما حولها بكل ارتياح الى ان احست بذراع زوجها تحيط بوسطها وصوته يهمس في أذنها:

- هل تشاركينني هذه الرقصة؟

- طبعاً انا على استعداد لفعل أي شيء، لأني سعيدة جداً اليوم.

كانت نظرات زوجها حلوة وهو يقول:

- حبي لك يزداد يوماً بعد يوم.

زادت كلمات الحب الصادقة من سعادتها، وأنستها ما تواجهه من متاعب. كان بيتر في هذه الأثناء يراقص ساري، وشعور بخيبة الأمل يغزو كيانه: (سأعود مع ليا الى البيت غداً وبجعبة فارغة. لقد فشلت كل خططنا، وسيخيب امل امي لأننا لم نستطع تحقيق شيء من احلامها. اما السبب في ذلك فهو ليا دون شك. كانت تصرفاتها طوال هذه الفترة تصرفات أطفال تنقصهم الخبرة).

عاد الى عالم الواقع وسأل ساري:

- هل ستأتين لحضور معرض الفنون؟

كانت ساري تفتش عن جواب حين تسلل إلى أذنيها صوت تعرفه جيدا:

- لقد وعدتني بهذه الرقصة من قبل يا ساري.

- لكنك تناسيت ذلك وأنت تراقص الآنسة ريبورن.

- لكني الآن على اتم استعداد لمراقصتك. كيف حالك يا بيتر؟

- على غاية ما يرام.

- انا سعيد لأنك تتمتع برفقتك.

تدخلت ساري دون وعي منها قائلة:

- طلب بيتر مني ان انزل في ضيافة العائلة عندما اذهب الى المدينة لحضور معرض الفنون.

- هذا مستحيل يا عزيزتي لأننا سنكون في امريكا اثناء تلك الفترة.

تساءل بيتر:

- هل ستكونان معا في امريكا؟

لم تصدق ساري ما تسمعه حين اجاب بليك:

- نعم... وذلك لنغير لقب ساري من آنسة الى سيدة.

قال بيتر:

- ما أسمعه يبعث على الدهشة.

أشرقت عينا ساري بشعاع غريب: (بليك إنسان مغرور. لماذا تخونني الكلمات؟ يجب ان اقول شيئاً).

لامس بليك بيده كتفها قبل ان يقول:

- لماذا انت صامتة؟ هل إعلان الموافقة صعب الى هذه الدرجة؟

قال بيتر:

- اسمحا لي ان أهنئكما.

طلب منه بليك:

- ارجو الاحتفاظ بالنبأ سراً حتى يعلن رسمياً قبل نهاية الحفل.

أكد بيتر وهو ينسحب الى الداخل جارا أذيال الخيبة:

- لك ما تريد.

- شكراً لك. اعرف ان بإمكاني الاعتماد عليك.

طلبت ساري تفسيرا لما يحدث من بليك، لكنه ظل يتجاهلها بنظراته الى ان قال:

- أنا لست انانيا يا ساري.

- هذا ليس الجواب المطلوب.
- انا اتحمل مسؤولياتي.
- أعرف هذا.
- وانا متأكد اني سأجعل منك زوجة رائعة.
- انت مجنون.
- جنوني ليس إلا جنون المحبين.
- أنت لست حبيبي.
- حسناً، اذن سأسعى لأكون كذلك.
- لن أترك لك حق تقرير مصيري، لن يحدث هذا أبداً.
- تستطيعين تقرير مصيرك بكلمة واحدة: نعم أو لا.
- لماذا؟ هل نحن في اجتماع رسمي؟
- من صالحك إعطائي جوابا سريعا.
- حسناً إذن جوابي هو: لا.

واتخذت طريقها الى القاعة، فلحق بها:

- أعطيك دقيقةاخرى لتفكري بعمق اكثر.

لم تعد تتحمل سيطرته، لكنه سمرها في مكانها بقوله:

- لم يعد هناك مجال لمثل هذه الألاعيب.

قاومته قائلة:

- أحب الحرية يا بليك. دعني اتمتع بحريتي.
- وتتحولي بعد ذلك إلى عانس، أليس كذلك؟ أنت رائعة الليلة.
- هذا لا يهم.
- لا يهم بالنسبة لك أنت. لكني، وبعد تفكير طويل، اخبرك بأني اريدك زوجة.
- لا اتصورك جاداً فيما تقول.

- لا تدعي الغباء يا ساري.
- لا تأمرني إذن، بل اسألني، فأنا لم اعد طفلة.
- اسكتي أرجوك، فقد مللت من اخفاء مشاعري نحوك وحبي لك. لقد انتظرت بما فيه الكفاية لاصارحك بمكنونات قلبي.

تأملته طويلاً قبل ان تعانقه قائلة:

- هل تحبني حقا؟
- نعم أحبك، وبحاجة إليك، ولن أستطيع الصبر على حبي واحاسيسي بعد الآن.

ازدادت التصاقاً به وهي تقول:

- وأنت الرجل الوحيد الذي أحب... أحبك.

ضمها بليك إلى صدره بقوة بينما كانت ساري تخاطب النجوم بنبضات قلبها مؤكدة:

- سأكون له، وسأبقى لعبة في يديه أبد الدهر.